سمات من الزمان

ثروت أباظة



الشركة القومية للتوزيع

تصميم الغلاف : جـابر عبد العـليم



سمات من الزمان

١

كان وفديا متعصبا ، ولكن تعصبه كان بعيدا كل البعد عن أى اقتناع أو مناقشة فكرية أو جدل منطقى . ولكن تعصبه أولا وأخيرا كان لأن صديقه الذى يحنو عليه ويساند أباه فى منصب العمودية كان وزيرا من الوزراء الثابتين فى الوزارات الوفدية

ومن ناحية أخرى كانت الأغلبية الوفدية سببا قويا فى تعصبه للوفد ، فقد كان ينتوى أمرا ويخفيه فى دخيلة قلبه ، وان لم يكن يخفى الوسيلة أو الوسائل التى تحقق له هذا الهدف الخبىء فى بعيد نفسه .

وقد كان إخفاؤه لهذا الهدف عنصرا من عناصر سعيه الوثيق الى تحقيق هذا الهدف .

كان مراد دياب طلبة ابن عمدة وحفيد عمدة ، وكان هذا فخرا أى فخر لأسرتهم ، وطالما تناقل أبناء وأحفاد العمدة القديم عبدالستار طلبه أن التليفون لم يغادر باحة دارهم منذ ستين عاما .

وكان مراد خليقا أن يكتفى بهذا الشرف ولكنه كان

يـزيـد على أبيـه وجده بأنـه نـال حظـا من التعليم بعـد دراستـه فى الكتاب حتى نـال الابتدائيـة ، وقضى بعض سنـوات متعثرة فى التعليم الثـانـوى حتى وصل متقطع الأنفاس الى الثالثة الثانويـة حين كان زملاؤه قد حصلوا على التوجيهيـة ودخلوا الجامعـة بينما لم يتجاوز أبـوه وجده الـدراسة فى الكتاب تلك الـدراسة التى مكنت لهما أن يجيدا القـراءة والكتابة وحفـظ نصيب لا بأس به من كتاب الله الكريم ، وان كانـت الأيام أنستهما ما حفظا من القرآن لأن كليهما لم يحرص على مـا حفظ بلـزوم القرآن ومداومة قراءته .

على أية حال كـان دياب طلبة والد مـراد حريصا على أن يعلم ابنـه ويصل به الى التخرج فى الجامعـة وان يكن مراد قد خذله فما كـان لهذا شأن كبير عند دياب فحسبه أن لـه ولدا يـرث عنـه العمـود ية بعـد أن كـاد يصل إلى اليأس من انعام الله عليه بولد .

فقد ظـل بلا مـولود أو مـولودة خمس سنـوات بعد زواجه من ابنة عمه بدوية عبدالموجود طلبه .

وكـان مراد أول مـا من الله بـه عليـه ، وتبعته بنتـان أسمى الاولى نجـاح ، وربما كـان هـذا الاسم ينبض بما كـان يـراوده ، من نجـاح أخيهـا فى الـدراسـة ، وأسمى الاخرى فـاطمة تيمنـاً بستنا فاطمـة كريمـة النبى عليه الصلاة والسلام .

كان فى صحبة مراد فى المدرسة نديم راشد ، وكان أبوه من الشخصيات المرموقة فى حزب الوفد ، وكان ينتظر الوزراء فى كل مرة يؤلف فيها الوفد الوزارة .

توطدت الصداقة بين مراد ونديم . ولما كان مراد يقيم عند عمه صالح طلبة الذى كان موظفا بوزارة الاشغال بالقاهرة ، فقد كانت الرقابة عليه هينة لينة لا تعنت فيها ولا حزم ولذلك كان يستطيع أن يقضى وقته جميعا فى غير مواعيد الدراسة فى منزل فكرى بك راشد مع ابنه نديم . وكان كثيرا مايتناول غداءه مع سعادة البك فى يومى الاثنين والخميس اللذين كانت الدراسة فيهما لا تستغرق الا نصف اليوم .

وعلى مائدة الغداء فى يوم من أيام الاثنين كان الجميع يعلم أن الوفد يؤلف الوزارة فى تلك الساعات . وكان فكرى بك فى حالة من الترقب الذى يجاهد أن يخفيه بكل ما يملك السياسى من خبرة واسعة فى كبت مشاعره وزجرها أن تبين منها خلجة على وجهه بله فى تصرفه .

كان جالسا إلى المائدة يتلطف كل التلطف مع مراد صديق ابنه ويعده بهدية قيمة اذا هو نجح مع نديم فى الامتحان .

وكان مراد سعيدا بهذا التلطف غاية السعادة ، مضمرا أن يبلغ أباه بهذه المكانة التى بلغها عند هذا السياسى الكبير .

وفجأة رن جــرس التليفــون ، وجــاء الخادم يبلغ فكرى بك أن معالى سكـرتير الحزب يطلبه على التليفون ، وهنا انكشف كل ما كان يكـاتمه فكرى من ترقب ، وهب لاتكاد تسعفه قدماه الى التليفون .

وتوقف كل من على المائدة من المأكل بل والمشرب

وعاد سعـادة فكرى بك وهو معالى فكـرى بك وزيرا للدولة وكأنما لم يجد أحدا يفـرغ عليه سعادته إلا مراد ، فاذا هو يصيح به .

ـ أنت فتى ميمون الطالع يـا مراد طلبة وستنال منى هدية عظيمة لأننى طوال فترة الغداء وأنا متفائل بك .

ومنذ ذلك اليـوم أصبح مراد مقـربا من فكـرى الذى أصبح بـاشا وكـان مـراد سعيدا بمكـانتـه هذه ، وكـان يحس أن الباشـا يدلله ولا يـرفض له طلبـا ، وعرف أهل الميمونة التى ينتمى اليهـا والتى يشغل أبوه فيها منصب العمدة هذا المكان الذى بلغه مـراد فى ساحة معالى فكرى باشـا ، فكانـوا كثيرا ما يلجأون اليـه ليرجو لهم البـاشا فيما يعـرض لهم من مشاكل أو تعيينـات أو ترقيـات أو تنقـلات . وكان البـاشا يستجيـب لرجـائه ، سواء كـان خارج الوزراة أو داخلها .

فرجال هذا الزمان لم تكن الحزبية تقف بين بعضهم البعض ان تقوم بينهم الصداقات ، وأن يلبى كل منهم ما

يتشفع فيـه واحـد لـدى الآخـر مهما يكن أمـر الخلاف الحزبى الا اذا كان المطلب يضر بالحزب الذى ينتمى اليه صـاحب المنصب . وكان المشفع دائما ذكيـا فلا يعـرض نفسه لمطلب يمس حـزب صديقـه . فهو الآخـر سياسى ويعلم كل العلم ما يجوز الرجاء فيه وما لا يجوز .

وهكـذا لم يكن عجيبـا أن ينشأ مـراد طلبـه وفـديـا متحمسا ، ولم يكن بهذا يخالف ضميره ، فهـو لا يعرف عن حزب الوفد أو غيره مـن الأحزاب شيئا على الإطلاق حتى يثبت ضميره على شىء أو يخالفـه لا شأن لـه بتاريخ أى حزب أو مبادئه ، وفدا كان هذا الحزب أو كان حزبا آخر .

كل مـا كان يعنيـه أن فكرى بـاشـا راشد واحـد من وزراء الحزب الوفدى فهو اذن وفدى .

●●●



٢

كان مراد فى العشرين من عمره حين رأى أبوه أن من الخير له ولإبنه وللزراعة وللعمودية أن يمكث مراد بالميمونة ولا داعى لإكمال الدراسة فهو على كل حال ، سواء نال الشهادة الجامعية أو لم ينلها ، كان أمله كله أن يصبح مراد عمدة بعده ، وأن يشرف على المائتى فدان اللتين يملكهما .

وهكذا استقر مراد بالقرية ، وكان زميله نديم قد أصبح فى السنة الثانية من كلية الحقوق بجامعة فؤاد ، ولكن هذا الفارق فى الدراسة لم يقطع ما بين الصديقين من رابطة وثيقة ، ولم يؤثر فى شىء على رعاية فكرى باشا لمراد .

حتى لقد طلب الباشا من مراد أن يدعو أباه للغداء معه . فرجال السياسة ثروتهم تتكون من الناس قبل المال .

ورحب الحاج دياب بهذه الدعوة . مع صداقته لعمر

المفتى عضو النواب الحر الـدستورى عن الدائرة . ولكن معرفة فكرى باشا أعظم نفعا وأكثر مجلبة للخير .

وهكـذا عرف مـراد معالى فكـرى بـاشا ، بل إنـه لم يكتف بهذا ، بل دعاه الى الغداء بالميمونة مركز الزقازيق ، وقبل الباشا الدعوة .

وحين لباهـا وجد العمدة قـد أقام على شرف البـاشا حفلا حـافلا ، فـالمظاهرات تستقبل البـاشا قبل ظـاهر القـرية بعـديـد من الكيلـو مترات ، والقرى المجـاورة تجامل العمدة والبـاشا جميعا بـالتجمهر أمـام قريتهم والهتاف لمعالى الباشا

وكان دياب من العمد الأذكياء فـدعا عمد البلاد التى يمـر عليها البـاشـا أولا ليظهر أمـامهم أنـه يستطيع ان يدعو الباشاوات الى بيته ، ولأنه يعلم كل العلم أن الباشا يحب أن يتعرف إلى هـؤلاء العمد ليكـونوا أو يكـون كثير منهم ـ على الأقل ـ من أنصار الحزب عند الانتخابات .

وطبعـا انطلقت الأعيرة النـارية الى عنـان السماء فما كان العمد جميعا سـواء الداعى أو المدعوون ينظرون إلى السماء فى هـذه الساعـات ، بل كـانت نظراتهم وآمـالهم جميعها أرضية مغرقة فى الأرضية .

وبعد الغداء أعلن الحاج دياب أنه منذ اليوم وفدى متحمس ، ولن يترك الوفد مهما تكن الضغوط عليه ، ولم يكن عجيبا ان يقول زميله عمدة النمايرة أنه أيضا يعلن انضمامه الى الوفد ، وكان الحاج دهشان النمر عمدة النمايرة من كبار العمد ومن كبار الأعيان أيضا ، وكانت بلدته أكبر البلاد عددا فى المنطقة .

وهكذا لم يكن عجيبا أيضا أن يعلن جميع العمد انضمامهم الى الوفد . ومهما يكن شأن هذه المظاهرة فكل هؤلاء العمد كانوا على أتم استعداد للانضمام للأحزاب الأخرى حين تتولى الحكم ، ولكن لا بأس بالمجاملة مادامت لن تصيبهم فى مناصبهم أو أموالهم أى إصابة مهما تكن هينة بل هى الى النفع أقرب ، وكان كل منهم يعرف عن نفسه وعن الآخرين أنهم على أتم الاستعداد للانضمام للأحرار الدستوريين أو السعديين اذا كانوا فى حضرة أى وزير من أى من الحزبين .

ولم يكن فكرى باشا يغبى هذا ، بل كان يعرفه كل المعرفة فهو سياسى مخضرم .

وبممارسته الحزبية ومرانه السياسى تظاهر بأنه صدق كل الذين انضموا الى حزبه ، وأظهر الفرح الشديد بهذا الكسب الحزبى الكبير ، والله يعلم بل أحسب أن

جميع الحاضرين بلا استثناء كانوا يعلمون ويعملون دستور النفاق هذا الذى يسود الانضمام والقبول فى وقت معا .

وربما كان هذا اليوم هو ميلاد أو تمكن الخاطر الذى يهفو له مراد .

وما البأس وها هو ذا فى سنه هذه الباكرة يتمكن من اقامة هذا الاستقبال الضخم للوزير الوفدى الأمر الذى يعجز عنه كثير من عتاولة العمد وعتاتهم .

وما البأس عليه أن يتوق الى هذا الذى يأمله لنفسه ، وما البأس عليه أن يذكر البيت القديم :

منى إن تكن حقا تكن أعذب المنى

وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا





قال الحاج دياب لولده مراد :

ـــ لقد قـاربت السن التى ينبغى فيها أن تعين عمـدة وأنا أريد أن أراك عمدة على حياة عينى .

ـ أطال الله عمرك يا أباه وأعطاك الصحة والعافية .

ـ فليطل عمرى ما شاء الله أن يطول وأنت عمدة .

ـ أنا لم أعص لك أمرا فى حياتى . ولكن لى رايا آخر .

ـ نهارك أسود .. رايا آخر فيم .

ـ لا تخف . سيرضيك هذا الرأى ولكن أوانـه لم يأت بعد .

ـ ما هو ؟

ـ سوف أقوله لك فى الوقت المناسب .

ـ وما المانع أن تقوله الآن .

ـ من ناحية المانع لا مانع ، ولكن لكل كلام حينه .

ـ ما هذه الفلسفة لماذا لا تقول ما تفكر فيه ؟

ـ لو قلته الآن سيبوخ .لك على أن نفرح أنا وانت فرحا لا مثيل له .

ـ افرح كما شئت ، ولكن لا ترفض العمودية .

ـ يا أبى أنا تحت أمرك ، ولك أن تتأكد أنى لن أخرج عن طاعتك طول عمرى ، والله على ما أقول شهيد .

ـ إذن فافعل ما تحب ، ولا تنس أن التليفون لم ينتقل من دوار آل طلبة منذ قرابة سبعين عاما .

ـ ولن ينتقل .. لا تخف .. التليفون قاعد فى مكانه

وضحك الأب والإبن معا وقال مراد :

ـ أنا تحت أمرك .

وقال الحاج دياب وهو يبتسم :

ـ ومن وجاهة العمودية أن تكون رب أسرة .

وتولى مراد شىء من الدهشه فهو لم يكن يتوقع أن يحيد الحديث الى هذا الامر ، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه .

ـ أما أن أتزوج فهذا أمر محترم ، ولكن هل ترى اخترت لى الزوجة أيضا ؟

ـ معاذ الله إبل أنت الذى تختار .

وقال مراد وفى نفسه ما فيها من آمال عراض :

ـ فاترك لى بعض الوقت ، وسوف أرضيك إن شاء الله.



كان مـدنى طلبة ابن عم مراد من أقرب أسرتـه اليه ، وكان يخالصه بـدخيلة نفسه لا يخفى عنـه شيئا إلا هذا الأمل الذى يداريه فى البعيد القريب من أعماقه.

قال له :

ـــ مـدنـى ! إذا طلبت منك أن تخطب لى فمن تـراك تختار؟

ـــ انت يـا بنى تعلمت فى مصر ، ولابد أنك تـريـد من تحب حتى تتزوج .

ـــ دعك من حكاية الحب هذه .

ـ معناها أنك لم تحب فى مصر .

ـ وهبنى أحببت .

ـ لعلك تصبو الى هذه المحبوبة .

ـ هيهات !!

ـ هذه قصة لم تحكها لى .

ـ لم تأت مناسبة .

ـ وها هى ذى قد جاءت .

ـ أحكى لك .

ـ احك .

ـ كنت مقيما ـ كما تعلم ـ مع عمنا صالح .

ـ بالمنيرة أعرف ذلك .

ـ ولم يكن البيت بعيدا عن مدرسة الخديو اسماعيل .

ـ لا جديد فى هذا .

ـ أمام المدرسة مباشرة عمارة جديدة كنا مبهورين بها ، وكان يسكن فيها واحد من زملائنا اسمه وافى الامبابى . وكان تلميذا عظيما فى الفصل لا يترك المذاكرة ليلا ولا نهارا ، فقلت فى نفسى أمد خيوط الصداقة بيننا لعلى أذاكر وانجح بدلا من هذه الخيبة الثقيلة التى أعانيها .

لم أكذب خبرا توددت الى الولد ، وكان لطيف المعشر رضى الخلق ، وقلت له ألا تعمل فى معروفا وتجعلنى أذاكر معك ؟ فقال وهو يمزح لن تستطيع معى صبرا

قلت أنا لا اتصورأن أكون فى مثل تقدمك ، وكل ما أريده هو أن أنجح ولا أقضى فى كل سنة سنتين أو ثلاثا . قال وتسمع الكلام ؟ قلت واسمع الكلام .. لا أطيل عليك .. قامت بينى وبين وافى صداقة .. وكنت أفرغ من المدرسة فيصحبنى الى بيته وقد اشترط على واحدة من اثنتين: إما ألا أزيد بقائى عنده عن ساعة يشرح لى فيها كل ما أطلبه وإما أن أبقى معه أذاكر حتى التاسعة مساء بلا توقف . تصور أنت أننى أذاكر من الرابعة إلى التاسعة ملعون أبو النجاح إن لم يتحقق إلا بهذا . قلت له : لا يا عم أنا تكفينى الساعة وتفيض .

فى ثانى أو ثالث يوم ذهبت إليه ، ودخلت الحجرة فتاة طالما رأيتها خارجة من باب العمارة ، وطالما أعجبت بها ، ولم أكن أعرف أن لها بوافى أى صلة . وأذكر أننى تجرأت مرة وقلت لها : صباح الخير . فلم تلتفت إلى وذهبت إلى طريقها وكأنها ما سمعت شيئا .

فحين دخلت إلى الحجرة التى أجلس فيها أنا ووافى خيل إلى أن قلبى سيقف من المفاجأة فالبنت حلوة ياولد يا مدنى حلاوة تفوق الوصف .

— كيف ؟

— ماذا تعنى بكيف ؟

— يعنى ما شكلها ؟

— حلوة .

— يا أخى ماذا وراءنا صفها وأطل فى وصفها .

— عينان سوداوان واسعتان ذوات رموش تشرئب إلى أعلى فى انثناءه مقوسة رائعة الحلاوة موضوعتان داخل خدين ناعمين أنعم من الحرير .

ـ وكيف عرفت ؟ لامست خدها ؟

ـ ليس فى أول يوم على أى حال . بالنظر هل لابد أن تمسك الحرير لكى تعرفه .

ـ نهايته أكمل .

ـ قوام ممشوق كل شىء فيه مرسوم بدقة شغل رب قادر وهى إلى النحافة أقرب ، ولكن ذلك لم يمنع الأماكن التى يجمل بها أن تكون عظيمة من أن تكون عظيمة فى كبرياء يا ولد يا مدنى وفى اشارات تأمر بالاعجاب ولا ترضى به بديلا أنا رأيتها داخله .

ـ وقلبك كان سيقف قلت هذا من قبل .

ـ وركبنى ذهول وقبل أن أفيق قال لها وافى : تعالى يا

هند هـذا زميلنا مـراد وفجأة تذكـرت محاولتى أن ألقى عليها تحية الصباح ، وركبنى الرعب أن تذكر شيئا عنها لأخيها ، ولكنها قالت فى صـوت ناعم مخملى كما يقولون وفى غير كلفة : أهـلا وفى خبث لم تشأ أن تفوت الفـرصة دون أن تغمـزنى فى تجرئى على إلقـاء تحيـة الصبـاح. فقـالت كثيرا ما رأيتـه وهـو ذاهب إلى المدرسة يظهـر أن عمارتنا فى طريقه. والخبيثة تعلم أننى لو شئت أن أذهب الى المدرسة مبـاشرة لذهبت دون أن أمـر بباب العمارة . فقد كـان طريقى من شارع الملك الناصر ، والقـاصد الى مدرستى لا يحتاج أن يمر بالعمارة ولكننى كنت أتحرى أن أقف لحظات أمام العمارة لعلها تخرج .

ـ يعنى كنت تعرف جمالها .

ــــ لم أكن تحققت منـــه كما فعلـت وهى تسلم على ويـدها فى يـدى وتقول أهـلا . كنت أعرف أنها جميلـة ، ولكن تفـــاصيل هـــذا الجمال لم تتضح فى ابهار كما اتضحت وهى معنا فى الغرفة . قالت لأخيها أنت مشغول أجىء لك فى وقت آخـر فقال لها هـل هناك شىء ؟ قـالت مسألة حساب كنت أريد أن أسألك فيها . قلت أقسم بالله العظيم ثلاثا إن لم تحل لها المسألـة لمشيت من فورى لا ساعة ولا عشر فضحكت ملء قلبهـا ، وسألت عن حكاية

الساعة هذه ، فأخبرتها وأكملت : وأنـا يا آنسه هند لست أتحمل المذاكرة أكثـر من ساعة فى اليوم الـذى أكون فيه مجداً كل الجد ، وهيهات لى أن أكون كفء أستاذنا وافى .

ـ طبعا كنت تريدها أن تحل المسألة لتبقى أطول فترة ممكنة .

ـ عجيبة وفهمتها وحدك ! فلماذا يقولون عنك غبى ؟

ـ أنت قليل الأدب .. أكمل .

ـ حل المسألة وأنا لاأفهم ممـا يقول شيئا ، فأنا عنه وعن المسألـة فى شغل شـاغل با لمسـألة الإلهيـة الكبرى التى أبدع الله خلقهـا . قل عرفتها . وأصبح من الطبيعى أن أنتظرها فى اليوم التالى ، وأصبح من الطبيعي أن أقول صبـاح الخير ، فتقـول : صبـاح الخير . يـوم والثـانى والعاشر تجرأت وقلت لها : وبعد ؟ قالت : وبعد فى ماذا ؟ فى صباح الخير . وصبـاح الخير أليس لها آخر ؟ قـالت : مـاذا تقصد ؟ قلت : أنت تعـرفين مـا أقصد ، قـالت : بل لاأعـرف شيئـا . قلت لابـد من التصريح قـالت بماذا ؟ بأننى معجب غـاية الاعجـاب إما أن ألقاك أو فقـاطعينى أومـاذا ؟ تنتحـر مثـلا ، قلـت الحقيقـة أننى لن أنتحـر فبصراحـة ليس عندى هـذه الشجاعـة ، ولكننى لاأدرى

ماذا سأفعل ، وكلمة منى وكلمة منها تواعدنا على اللقاء . وواجهت فى هذا اللقاء يامـدنى ياأخى أكبر حب عرفته أو سأعرفه فى حياتى .

ـ إلى أى مدى كان هذا الحب ؟

ـــ على مهلك . مـاذا تتصـور ؟ أتظنهـا عـاهـرة من الطريق ؟ إنها فتاة بنت ناس وأبوها تاجر كبير .

ـ يعنى إلى أى حد وصل الحب ؟

ـ قبلة .

ـ فقط .

ـــ ولم أكن أتصور أننى سأنـالها فى حياتى لـولا أن هند أحبتنـى يامدنى ... أحبتنـى فعلا ووثقت بى وثـوقا كاملا .

ـ متى كان هذا ؟

ـ قبل أن أترك المدرسة بسنتين .

ـ يعنى كنت فى الثامنة عشرة .

ـ تقريبا .

ـــ فلماذا لم تطلب من أبيك أن أن يـزوجك بها ؟ لقـد

كان وأنت فى هذه السن واثقـا أنك إن شاء الله لن تفلح فى الدراسة .

ـ قلت أنتظر سنة أخرى أكون اقتربت من العشرين .

ـ فلنفرض

ـ فى هذه السنة حدث الخراب الكامل .

ـ لمن ؟

ـ لأبيها .

ـ ماذا حدث ؟

ـ أفلس الأب إفلاسا كاملا .

ـ وما لنا نحن ؟

ـ كيف .

ـ ألا تحبها ؟

ـ أحبها جميعها بجمالها وبمال أبيها .

ـ تقصد أنك كنت تنظر إلى غنى أبيها ؟

ـ لا شك انه كان شيئا مهما .

ـ وماذا فعلت ؟

ـ ليس أنا الذى فعل . ربك هو الذى فعل ترك وافى مدرسة الخديو اسماعيل لأن أباه لم يكن يستطيع ان يدفع ايجار الشقة المرتفع وأصبحت لا أرى هندا .

ـ ألم تبحث عنها ؟

ـ عرفت أنهم سكنوا فى الحلمية .

ـ ولم تذهب ؟

ـ ولماذا أذهب ؟!

ـــ لا ... لك حق ... ولماذا تذهب ؟

ـ المهم هل تعرف لى عروسا ؟

ـ الآن أستطيع أن أقول لك : نعم أعرف .

ـ هل أنت واثق ؟

ـ عرفت من العروس التى تريدها ولكن قل لى لماذا ؟

ـ أى لماذا ؟

ـ انك عندك من المال ما يكفيك ويفيض

ـ يكفينى لأن أكون ماذا ؟

ـ عمدة .

ـ أنت العمدة .

ـ ماذا تقول ؟

ـــ كلام بن عم حديث

ـ طبعا . وهل يمكن أن يكون العمدة أحداً آخر غيرك ؟

ـ نـرجع لموضـوعنـا . ماذا تعـرف عن العروس التى أريدها ؟

ـ أن تكون ذات مال .

ـ طبعا .. وماذا ايضا ؟

ـ هذا الذى فهمتـه وأكذب لو ادعيت أننى فهمت معه شيئا آخر ؟

ـ دعنى أرحك من البحث .

ـ أرحنى أراحك الله .

ـ عليـك أن تتعرف لى من البـلاد التى حولنـا البنات اللاتى تصلحن زوجات لى .

ـ أتريد بحجة الزواج أن ترى بنات المنطقة كلها ؟

ـــ اعمل مـــا اقـــولـــه لـــك ، وسترى أنك مغفل فى استنتاجاتك .

ـ ألا يمكن أن تتكلم من غير قلة أدب ؟

ـ مـاذا أعمل لك ما دمـت تريد ان تعمل نفسـك ذكيا وأنت خائب ؟

ـ حفظت .

ـ أنت بالـذات تعرف الناحية كلهـا .. فأنت الى جانب أرضك تعمـل فى تجارة القطن على خفيف ولكـن لا شىء يجعل الواحد يعرف الناس فى البلاد مثل هذه التجارة .

ـ والله انك ناصح ... فلماذا إذن لم تفلح فى المدارس ؟

ـ المدارس شىء ، والدنيا شىء آخر .

ـ كل الخائبين يقولون هذا القول .

ـ لعنة الله عليك .. لا تغير الحديث .

ـ يا سيدى علم .

ـ علم ؟!

ـ علم وينفذ .



٤

طلب الحاج دياب زميله الحاج دهشان عمدة النمايرة فى التليفون المباشر، لا فى تليفون العمودية .

ـ يا صباح الخير .

ـ يا أهلا حاج دياب .. مشتاق لك

ـ من بعض ما عندنا .

ـ أتأتى إلى أم آتى أنا اليك ؟

ـ غداؤنا عندك اليوم .

ـ يا مرحب .

أنا والعائلة جميعا .

أى سعادة وهناء ؟

●●●

ـ انا اليوم يا حاج دهشان أسعد انسان فى العالم .

ـ إذاً فأنا أيضا أسعد الناس فسعادتك سعادتى .

ـ قل لى لماذا ؟

ـــ ولماذا أسأل وأنت ستقول فحديثك عن سعادتك تمهيد لحديث آخر قادم فى السكة

ـ طول عمرك لا تفوتك الفائتة .. أنا طلبت الغداء عندك لسبب .

ـ انطق .

ـ أريد نازلى ابنتك الوحيدة لابنى الوحيد .

ـ لمراد ؟

ـ وهل عندى ولد آخر ؟

ـ وأين رآها ؟

وهنا نطق مراد :

ـ وهل لابد أن أراها يا عم الحاج ؟

ـ هذا سلوككم يا أبناء المدارس .

ـ يكفينى انها ابنتك

ـ قال النبى ﷺ : « أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما

وقال الحاج دياب :

ـ ألم تجهز لنا الغداء ؟

ـ لقمة على ما قسم .

ـ ستراه ويراها ، ويؤدم بينهما .

●●●

لم تكن جميلة ولكنها كانت صبيحة الوجه ودودا هادئة الحديث والتصرف تحسن استقبال الضيف . وقد كان مراد ينوى خطبتها على أية حال وان كانت عجوزا شوهاء شمطاء رديئة الخلق والخلقة فقد كان ـ كما قال ـ يريد أباها الحاج دهشان فهو رجل ذو ثراء كما تعلم ليس له من البنين ولا البنات إلا نازلى ، ثم هو صاحب شفاعه عند الكبار من المديرية كلها . بل ومن غيرها أيضا .

ولم يخل الأمر على الغداء من ابتسامه يسفر بها مراد لنازلى اجابتها ابتسامة منها .

قال الحاج دياب وهم يتناولون قهوة ما بعد الغداء .

ـ نقرأ الفاتحة .

ونظر الحاج دهشان إلى مراد :

ـ سأكون لك ابنا صالحا إن شاء الله يا عم الحاج .

وقال الحاج دهشان :

ــ أنا ليس لى فى الدنيا إلا هى ، وقد بعت لها أرضى كلها بعقد مسجل ، ولا أمل لى إلا أن تكون سعيدة .

وقال مراد :

ـ أظننى فى غير حاجة أن أقدم لك نفسى ، فأنت منى كأبى وتعرف عنى كل شىء .

ـ ما عدا أنك لا تحب العلم .

وهنا قال الحاج دياب :

ـ شغلتنا يا حاج دهشان لا تحتاج إلى علم .

وقال الحاج دهشان :

ـ ولكن نازلى أخذت الابتدائية وترطن وكأنها بنت من بنات فرنسا .

وهنا سأل مراد :

ـ أكانت بمدرسة الراهبات بالزقازيق ؟

وقال الحاج دهشان :

ـ طبعا .

وقال مراد :

ـ ربنا يستر.

وقال دهشان :

ـ مالك ؟

وقال مراد :

ـ أصل أنا فى مسألة اللغات هذه يدك والأرض .

وضحك ثلاثتهم ، وقال الحاج دياب :

ـ وماله !هى تعلمك .

وقال مراد :

ـ إن شاء الله .

وقال الحاج دياب :

ـ امدد يدك يا حاج دهشان .

وقال الحاج دهشان :

ـ على بركة الله ..

ولكن مراد سأل فى شبه خجل ليس طبعا فيه

ـ أسألتها يا عم الحاج . ربما تكون غير راضية عنى .

ولولا ابتسامة المائدة ما سأل مراد هذا السؤال .

وقال الحاج دهشان :

ـ أو كنت أقول على بركة الله . إن لم أكن سألتها إنها بنتى الوحيدة وغدا تعرف إلى أى مدى يحب الأباء أبناءهم فهذا شىء لا يعرفه الابناء الا حين يصبحون آباء .

وأنهى الحاج دياب الحديث

ـ امدد يدك يا حاج دهشان .

ـ على بركة الله إن شاء الله .

ومد يده وقرأ ثلاثتهم الفاتحة



٥

تم الزواج ، وانتقلت نـازلى إلى دار الحاج دياب ريثما يتم المنزل الـذى رسمه مهندس حسن الـذوق ليقيم فيه مـراد وزوجه ، وكـانت الحاجـة بـدويـة أم مراد سيـدة رضيـة الخلق ، وقد فـرحت بـزواج ابنها الأوحـد فرحـا لايدانيه فرح ، ورحبت بنازلى غاية الترحاب ، وخصصت للعـروسين جناحـا فى الدور الأعلى من المنـزل ، وأصرت قبل الزواج أن يلحق بالجنـاح حمام خاص بالعروسين ، ولم يجد المهندس الـذى رسم بيت مراد مشقـة أن يقلب غرفة مجاورة للجناح الى حمام للعروسين .

ومع ذلك فإن الحاج لم ينجح فى جعل مـراد وزوجته مستقلين عن البيت الكبير ، أو السرايـــة كما يسمى أهل الميمـونة بيت العمـدة . وربما كـان اتسـاعه وأنـه مبنى بـالطـوب الأحمر سببا فى هـذا اللقب الـذى أضفـاه أهل البلدة على منزل العمدة .

كان مأكل العروسين وشربهما وسـائر ما يشغل أهل البيت متـوحدا لا انفصـال فيه بين العـروسين والحاجة بدوية أو الحاج دياب .

وأصرت نازلى أن تقوم هى نفسها بعمل القهوة لحميها وحماتها كلما طاب لهما أن يتناولا القهوة . وكانت نازلى صناعا فى شئون المطبخ فكثيرا ما كانت تتحف الأسرة بطعام تختاره هى لهم وتتقن صنعه .

وهكذا ازداد حب بدوية لنازلى وبخاصة أنها وجدت نازلى لا تحاول أن تبدو وكأنها ست البيت . بل كان ترجع فى صغير الأمور قبل كبيرها الى نينا بدوية كما كانت تدعوها .

وما هو إلا شهر وبعض شهر حتى انطلقت الزغاريد فى بيت العمدة إعلانا عن الحمل الذى ظهرت بوادره على نازلى والذى أكده الطبيب المختص فى البندر .

كان طبيعيا أن يشمل الفرح الأسرة جميعا ، ولم ينس الحاج دياب أو الحاجة بدوية منذ عرفا هذا النبأ العظيم أن يدعوا بعد كل صلاة أن تقوم نازلى بالسلامة وأن تهب لهما غلاما ..

وتمر الأيام والشهور ويأتى الغلام ، ويصبح اسمه دياب مراد دياب طلبة .

ولا تمر على ولادة الطفل أيام حتى يصبح بيت العروسين الجديد مستعدا لاستقبال الاسرة الجديدة .

ربما كــان فرح الحاج ديــاب أعظم من الجميع ، فقــد ضمن لاسمه البقاء من بعده وبعد ابنه. فالجد يلد حفيده مرتين كما يقول أمير الشعراء .

وفى ذكاء شــديد وفطره مواتيــة ينتهز مراد الفــرصة من سعادة أبيه الغامرة ويقول له :

ـ ما رأيك يا أبا فى الانتخابات الجائية ؟

ـ أى انتخابات ؟ هل هناك انتخابات ؟

ـ لابد أن تأتى انتخابات .

ـ طبعا ولكن متى ؟

ـ على الأقل حين تنتهى الدورة

ـ يا من يعيش !

ـ ربنــا يطيل عمرك الأمــر ليس بعيدا سنــة والأخرى ويبدأ الاستعداد للبرلمان الجديد .

ـ ولد يا مراد .

ـ نعم يا ابا .

ـ قل ما تريد ولا تلف على أبيك ؟

ـ أنا لا ألف ولا أدور .. ألم تنضم للوفد وتصبح عضوا فيه ؟

ـ انضممت وأصبحت عضوا فيه .

ـ أو لم تصبح صديقا لفكرى باشا راشد ؟

ـ افرض .

ـ أنا لا أفرض أنا أعرف مكانك عنده وصلتى أنا بابنه نديم ، والباشا يستقبلنى بكل ترحاب كلما زرتهم .

ـ هل عرف أنك أصبحت أبا ؟

ـ لا أظن ولكنك تذكر أننا دعوناه الى الفرح وجاء ومعه ابنه نديم وسجادة غالية الثمن .

ـ حصل .

ـ آبا .

ـ هيه .

ـ لماذا لا ترشح نفسك فى الانتخابات الجائية ؟

وبهت الحاج دياب لحظات ثم أفاق فى بطء شديد ليجد نفسه قائلا لابنه :

ـ أجننت ؟!

وابتسم مراد أنه أثار انبهار ابيه :

ـ أترى أننى جننت ؟

ـ والعمودية ؟!

ـ أى عمودية يا آبا؟ أنا أكلمك لتكون عضو مجلس نواب تقول لى عمودية «أى عمودية» يا آباه ؟!

ـ أفوتها ؟!

ـ وهى أين ستروح ! انها باقية فى العائله

ـ أنت تريد أن تصبح عمدة بسرعة .

ـ أنا ... لا يمكن ... أولا أنا لم أبلغ السن ... ومسألة العمودية بعيدة عن ذهنى تماما ولا أفكر فيها .

ـ كيف ؟!

ـ يا أبا أريد أن تكون عضو نواب ، والعمودية لها حديث آخر .

ـ فاجأتنى يا ولد يا مراد .

ـ وفيم المفاجأة ؟

ـ لم أكن أفكر فى هذا عمرى كله .

ـ غلطان .

وصمت الحاج دياب وشرد ذهنه وأمعن فى التفكير ، ثم ما لبثت ابتسامة متفاخرة أن علت شفتيه .

ـ والله يا ولد ربما كنت على حق يمكن أنا غلطان فعلا ولماذا لا ؟

وصاح مراد :

ـ يعيش حضرة النائب

ـ هس لا يسمعنا أحد .

ـ لك حق .. اسمع إذن يا آبا

ـ هيه

ـ لعضوية النواب ترتيبات مهمة .

ـ فعلا ... أتعرفها ؟

ـ يا آبا أنا ليس لى أمل فى حياتى منذ أدركت الحياة إلا أن أراك نائبا .

وهكذا راوغ مراد أباه عن دخلية نفسه وعن الأمل الذى طالما أخفاه . لقد كان يريد أن يكون هو نائبا وليس يعنيه أن يكون أبوه أو لا يكون . ولقد دبر فيما دبر أنه

مادامت سنه لا تسعفه لنيل هذا المنصب فلماذا لا يسبقه فيه أبوه .

ويخلف هو أباه وتكون الطريق قد مهدت ، ويكون قد لف الدائرة وعرف من لم يكن يعرف ، وعرفه من لم يكن سمع عنه .

وما كان اختياره نازلى فيمن عرضه عليه مدنى إلا لأن أباها عمدة لأكبر بلد فى الدايرة الى جانب ثرائه . وهكذا وجد فى نازلى كل الذى يحقق ما تهفو له نفسه ، ويدنى له من الأمل المتشبث به تشبث الانسان بالحياة .

قال أبوه :

ـ ومن أين نبدأ ؟

ـ وهل المسألة عايزة تفكير ؟

ـ كيف ؟

ـ نبدأ بالباشا .

ـ أى والله صحيح نبدأ بالباشا .



٦

قال مراد للباشا :

ـ أتكلم أنا أم يتكلم أبى ؟

ـ وهل هذا سؤال مادام أبوك موجودا فالكلام يكون له .

ـ طبعا الأمر كما تقول معاليك ولكن أريد أنا أن أتكلم.

وضحك الباشا وقال :

ـ والله كبرت يا مراد وأصبحت تلف وتدور على سياسى محترف .

ـ أولا معاليك لم تهنئنى .

ـ ألم أحضر فرحك ؟

ـ و هدية معاليك تتصدر المديرية كلها لا بيتنا فقط .

ـ إذ فيم أهنئك ؟

ـ بالحاج دياب الصغير .

وأراد الباشا أن يبدو مسرورا كلّ السرور وهو يقول :

ـ كذا ... أنت لحقت ... ألف مبروك ... وقبل أن نتكلم افتح يدك وأخرج محفظة والتقط منها ورقة كبيرة واستطرد قائلا :

ـ نقطة المولود يا أبا دياب .

وأعطاه ورقة بمائة جنيه وقال الحاج دياب :

ـ كثير يا معالى الباشا ... هذا كثير .

وقال مراد :

ـ لا يا أبا أنا عند الباشا مثل نديم بك وأنا أعرف ذلك ربنا يطيل عمرك يا معالى الباشا ويكرمك .

وقال الباشا :

ـ المهم .. ماذا كنت تريد أن تقول ؟

ـ مرة واحدة كده نريد أن نرشح أبى لمجلس النواب عن دايرتنا ...

ـ العضو الآن عمر المفتى . ونحن نرشح فى هذه الدائرة ...

وقاطعه مراد :

ـ كامل الزينى .

وقال الباشا :

ـ عمر المفتى قوى

وقال مراد :

ـ ليس هـو القوى ، ولكن كامل الـزينى هو الضعيف ولا يخدم الـدائرة مطلقـا ... اذا كـان يعمـل محاميـا ، ويسلخ أهل الدايرة فى الأتعاب الى جانب انه ...

وقاطعه الباشا قائلا :

ـ بخيل ... أعرف ذلك وبيته مقفل دائما .

وصاح مراد :

ـ يعيش معالى الباشا .

وقال الباشا فى تؤدة وفى تفكير :

ـ والله يا ولد يا مراد ... المسألة فيها كلام .

وقال مراد :

ـ قل معاليك نعم وهى لا يصبح فيها كلام .

وقال الباشا :

ـ المسألة ليست بهذه السهولة . كامل عضو قديم والأمر ليس بيدى وحدى ، بل لابد من الرجوع الى الرئيس والسكرتير العام وأعضاء مجلس الادارة فى الحزب ... الامر ليس سهلا كما تتصور وبخاصة أن لكامل اصدقاء كثيرين فى الحزب .

وقال مراد :

ـ وماذا يهم أن يكون العضو قديما أو جديدا اذا كان لا ينجح ؟

ـ المسألة ليست كما تتصور .

ـ البركة فيك .

ـ ليست حكاية بركة .

ـ أنت تذلل كل العقبات .

ـ بل أنت يا حاج دياب الذى يمكنك أن تساعدنى .

وكان الحاج دياب تائها طوال هذا الحوار وكأنما أفاق فجأة بنداء الباشا له صائحا :

ـ أفندم .

ـ ألست معنا ؟

ـ بل معك تماما يا معالى الباشا .. أنتظر أمرك .

ونظر الباشا إلى الحاج دياب وابنه ، وصمت لحظات طويلة ثم قال :

ـ ألم تكن عضوا فى حزب قبل ذلك يا حاج دياب ؟

ـ أول مرة يا معالى الباشا . النائب الذى أعرفه عمر بك المفتى رجل طيب ، وتعودنا ان نعطيه أصواتنا فالمعرفة بيننا معرفة جدود . وأنا لا أشتغل بالسياسة إلا وقت الانتخابات .

وأعاد اليهما الباشا نظرة ثاقبة ثم قال لمراد :

ـ قل لى يا فصيح أنت يا من أسكت أباك وتكلمت. ألم تأت عندنا فى الحزب ولو مرة .

ـ كيف ؟ اننى ذهبت لمعاليك هناك أكثر من مرة ، سواء وحدى أو مع نديم ...

وصمت لحظة ثم قال مستدركا :

ـ مع نديم بك .

وقال الباشا :

ـ أليس هذا الحزب يحتاج إلى ميزانية ضخمة ؟

وهنا صاح الحاج دياب :

ـ أفندم .

ـ أم ماذا تظن ؟

ـ أنا يا باشا تحت أمرك ، ولكن ميزانية لماذا ؟

ـ يا إلهى ! لماذا ألا تعرف يا حاج دياب ؟ أبسط شىء الانفاق على الانتخابات . وإصدار الصحف ، وهذا وحده يحتاج إلى مئات الألوف .

ـ أى والله معقول . إنما قل لى يا معالى الباشا .. أينفق الحزب على الانتخابات ؟

ـ طبعا .. مثلا لنا أعضاء أقوياء فى دوائرهم ؟ ولكن ضعفاء فى حالتهم المالية .

وهنا قال مراد :

ـ ماداموا ليسوا قادرين على الانتخابات فليتركوها للقادرين

وضحك الباشا :

ـ على مهلك يا أستاذ الموضوع ليس بهذه البساطة

فهؤلاء أن لم يساعدهم الحزب تركوه وأصبحوا ضده ، وليس بعيدا أن يرشحوا أنفسهم بأموال حزب آخر الى جانب انهم سيؤثرون فى دوائر أخرى بشخصياتهم .

وقال مراد وكأنما ر د إلى عقله :

ـ والله معقول يا معالى الباشا .

ـ الى جانب مصاريف أخرى حزبية سرية لا يعرفهاإلا رئيس الحزب والسكرتير العام ، وهذه طبعا لا تذكر .

وهنا قال مراد مذهولا :

ـ مثل ماذا يامعالى الباشا ؟

ـ مثل الأموال التى نعطيها لمن ينقل لنا أخبار الأحزاب .. ولاحظ أننى أفشيت لك سرا من أسرار الحزب .

وصاح مراد :

ـ يا خبر أسود .

ـ لا أسود ولا أبيض هذه سياسة والأحزاب الأخرى تعمل مثلنا . وهناك المصاريف الإدارية فى الحزب مثلا .

وهنا أراد دياب ان يعرف رأسه من رجليه وسأل الباشا فى حسم :

ـ كامل الزينى يدفع للحزب كم جنيها يا معالى الباشا ؟

ـ المبالغ لا أعرفها ، ولكنه يدفع مع الاشتراك مبلغا محترما فيما أعتقد .

أنا يا باشا أدفع ضعفى ما يدفع .

وتجلت الفرحة على وجه مراد ، وقال فى شجاعة :

ـ ونحن سننجح يا باشا ، وكامل لم ينجح مرة واحدة فى حياته .. ما رأى معاليك ؟

ـ توكلنا على الله ... على فكرة أنتم مدعوان لفرع نديم يوم الخميس القادم

وصاح مراد :

ـ وهو مازال فى الكلية .

ـ ابنة عمه وواضح انهما متفقان ، فقلت بدلا من أن تشغله عن المذاكرة يتزوجها .

وقال مراد :

ـ على بـركة الله يا معـالي الباشـا ولـو أنني أرجو أن تبلغ نديم أنى عاتب عليه .

ـ لماذا .

ـ أنا أقرب صديق له وأعرف الخبر من معاليك .

ـ انه لم يبح لأحد مطلقا . لابد أن تحضر الفرح .

ولم ينس الحاج دهشان أن يرسـل الى الباشا عشرة خراف نقوطا لتذبح فى الفرح

●●●

٧

حين خلا مراد إلى أبيه قال الحاج دياب :

ـ استرحت ؟

ـ كيف ؟

ـ ألم يعد الباشا ؟

ـ أتظن أن الحكاية انتهت هكذا ؟

ـ على الأقل مؤقتا الى أن تأتى الانتخابات .

ـ يا ابا الحكاية أكبر بكثير مما تظن .

ـ يعنى يا ولد انت ناوى تعلمنى الانتخابات وأنا فيها منذ بدعوا الانتخابات فى البلد ؟!

ـ أنت فيها بأن تعطى صوتك ، وهذه أول مرة ترشح فيها .

ـ أتريدنى أن أعلن ترشيحى من الآن وأصبح مضحكة .

ـ لا يا أبا .. لا اعلان ولا يحزنون .

ــ فماذا تريدنا أن نعمل ؟

ــ نعمل .

ــ ماذا نعمل ؟!

ــ أصحابك فى البلاد تزورهم .

ــ هكذا من غير مناسبة .

ــ زيارات ودية أما المناسبات سواء كانت مآتم أم أفراحا فلا تفوتنك منها واحدة . وتدفع فى الأفراح نقطة كبيرة .. واذا كان صاحب المأتم رقيق الحال نغمزه بكم جنيه ليواجه اعباء الوفاة ..

ــ من الآن يا ابنى؟

ــ بل من الأمس يا ابا .

واعجبت الاجابة الحاج دياب فراح يقهقه ملء فمه ، ثم قطع الضحكة وهو يقول :

ــ ولكن الأمر سيكلفنا كثيرا يا ولد .

ــ ليس هناك مال يساوى أن تصبح عضو مجلس نواب

ولم يستطع أن يكتم امـالـه فإذا هو يقـول فى تسرع الشباب :

— والذى سننفقه اليوم جنيها سنجمعه غدا عشرة .

ووجم الحاج دياب وهو يسأل فى شبه استنكار

— كيف ؟

وتنبـه مراد الى تعجلـه وأراد أن يصلح مـا أوشك أن يفسد .

— مصـالحنا فى المديـرية بل فى الـدولة كلهـا .. هل يستطيع أحـد أن يقـف ضـدنـا ، وغير هــذا كثير ممـا ستعرفه حين تصبح عضو نواب يا أبا .

وأطرق الحاج دياب قليلا :

— طيب والعمودية ؟

— مالها ؟

— من يتولاها ؟ أنت لم تصل إلى السن القانونية

— عضو النواب يعين من يريد .

— وتخرج من دار طلبة ؟

ـ بل تبقى .

ـ هل تقترح أحدا ؟

ـ عندى ألف ... فقط توكل أنت على الله

ـ توكلنا على الله .

●●●

وبدأ الحاج دياب يعمل بنصائح مراد الذى كان يعد للأمر منذ زمن بعيد ، وقد بدأ حملته بإقامة دعوة غداء واسعة كل السعة بمناسبة ميلاد دياب الصغير ، وانتقال مراد وأسرته الى بيتهم الجديد .

ولم يقتصر مراد ودياب دعوتهما على العمد ، بل دعوا كل ذو مكانة أو أكرومة فى بلده .

ولم يخل الأمر من إلقاء الشيخ سليم الديب المدرس الالزامى بالميمونة قصيدة شعر مهما تكن هشة بعيدة عن الرصانة إلا انها أدت الغرض منها ، واستقبلها شهود الحفل بالتصفيق والتهليل .

وتبارى آخرون فى القاء خطب المديح والتمنيات الطيبات للمولود الكريم والتنبؤ له بأن يكون عمدة بعد مراد .

ولم يفت الأذكياء الماكرين من العمد وأعيان البلاد والتجار أن هذه الدعوة تخفى وراءها ما تخفى وإن لم يستطع ذكاؤهم أن يصل واثقا الى ما ينتويه العمدة وإن كان بعضهم لم يستبعد أن يكون عاقدا العزم على ترشيح نفسه فى الانتخابات . ومما جعل هذا الأمر معقولا الى حد ما فى ذهن من قام بذهنه أنه لم يدع عمر بك المفتى مع أنه تعود فيما قبل أن يكثر من دعوته .

وهمس خميس الملوانى فى أذن الحاج دهشان :

- نسيبك ناوى على ماذا ؟

- لم يفاتحنى فى شىء .

- بل فاتحك .

- كيف ؟

- لقد فاتح الجميع بهذه العزومة الطويلة العريضة التى لا أشك أنها ستتلوها عزائم أخرى .

- بأى مناسبة ؟

- ومن غير مناسبة وشرفك ؟

- دع شرفى فى حاله

— وشرف أنا ولا تزعل .

— «لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون» .

- صدق الله العظيم . لو أنني أعتقد أن هذا النبأ سيتأخر بعض الشيء ؟

— ماذا تقصد ؟

— ما تعلم .

— أتظن ذلك يا خميس .

— إن غداً لناظره لقريب .

— ولكن غداً هذا بعيد بعض الشيء .

— إنه يعمل له من بعيد .

— إه . ربنا يوفقه

— ويوفقنا .

— ماذا تنوى .

— وقت الله يعين الله .

— على رأيك . .



٨

ما أسرع السنوات وأبطأ الايام والساعات !!

استطاع دياب ومراد أن يجمعا الناس حولهما بشتى طرق ومختلف سبل لا يقصران فى مجاملة أو مال أو تهنئة أو مواساة . ويكاد لا يمر بهما أسبوع أو أسبوعان دون أن يولما الولائم .

حتى اذ حل موعد الانتخاب كان الحاج دياب قد أخذ اهبته كاملة للترشيح .

وصدق فكرى راشد وعده له بعد أن قدم دياب للحزب ضعفى ما كان يدفع كامل الزينى .

ورشح حزب الوفد الحاج دياب طلبة ليكون نائبه فى هذه الدائرة وكان للوفد فى هذه الانتخابات كفة راجحة غاية الرجحان ، لأن الشعب المصرى لا يحب أن يبقى حزب أو حزبان فترة طويلة فى الحكم أقصى فيها حزب الوفد عن الوزارة .

ويعلم الله أن الوفـد قد كسب من ابتعـاده عن الحكم أضعاف ما كسب خصومه من بقائهم فى الحكم

فالـوفد لم يكمل دورة واحدة فى حياتـه فما إن يتولى الـوزارة ويمضى بـه بعض الـوقت ، ويبـدأ الشعب فى كراهيتـه كما يكره المحكـوم حاكمـه الظالم حتـى يقيله الملك فتنقلب كراهيـة الشعب له اقبـالاً عليه واعجابـاً به لاحباً فيـه و إنما كراهية لفكرة الإقـالة ذاتها التى أصرت انجلترا المحتلة أن تـوضع فى الدستور اطمئنـانا منهم أن أحـداً من الملوك لن يجرؤ على معـارضتهم إذا هم ارادوا أن يغيروا الـوزارة ويأتـوا بـرئيس جـديـد ، كما أتـوا بمصطفى النحـاس فى حـادث ٤ فبرايـر الشهير الجهير الحقير .

نجح الحاج ديـاب طلبة فى الانتخـابـات وجلس تحت قبة البرلمان ولا ينسى أحد كم كان فرحاً سعيداً حتى لقد لبس وشـاح النـواب ، وذهب إلى مقهى لـونـابـارك فى القاهرة منـذ باكر الصباح قبل مـوعد الافتتاح ليعلم كل من يمر به أنه عضو بمجلس النواب .

كان عليـه أن يختار بين العموديـة والنيابة فى ثـلاثة أشـهر . وطبعاً هـو لم ينفق هذا الإنفاق من مـاله وجهده ليبقى آخر الأمر بالعمودية .

ومراد لم يبلغ السن القانونية .

ـ ماذا تفعل فى العمودية يامراد ؟ .. أنت بعد لم تبلغ السن .

ـ وحتى إذا بلغتها إنما مسألة العمودية هذه لا أفكر فيها على الإطلاق .

ـ هل جننت ؟

ـ لا تغضب أنا لم أبلغ السن القانونية وحين أبلغها يفرجها الذى لا تغفل له عين .

ـ ليكن ، هل فكرت فيمن يكون عمدة من دار طلبة ؟

ـ هل سعادة النائب فكر ؟

ـ ربما ولكنى أحب أن أسمع منك .

ـ ما رأيك فى مدنى طلبة .

ـ مدنى بن الحاج اسماعيل .

ـ شاب ذكى وفاهم وعلى قدر من التعليم المطلوب وبلغ السن .

ـ ألا تخشى أن يكون كثيرون من كبار العائلة طامعين فيها ؟

ـ هم يحبونه جميعاً ولن يرضى أحد منهم أن يرد لك رأيا وأنت كبيرهم وزعيمهم ، وشرفتهم بما لم يشرفهم به أحد من عائلتهم فى حياة العائلة من جدهم الكبير إلى يومنا هذا

ـ ولكنى لا أريد أن أغضبهم .

ـ وهل جئنا بعمدة من خارج العائلة ؟

ـ ولكنى مع ذلك لا أحب أن أغضبهم .

ـ أقول لك أنا سأمر على كبار العائلة وأعرض على كل منهم الأمر على أن الشباب يجب أن يأخذ حظه وأن العمودية هم وإنفاق ، ومسألة الانفاق هذه مهمة جداً عندهم جميعاً فليس فى العائلة ـ والحمد لله ـ كريم إلا أنت ، وسأقول إن دوار العمدة لابد أن يظل مفتوحاً ليلاً ونهاراً ليستقبل ضيوف البلدة وموظفى المديرية و.... و...... أترك الشيوخ علىّ أنا .

ـ اتفقنا ... اذا قبلوا نتوكل على الله .

ـ سيقبلون وبخاصة مدنى يعتبر من أغنياء الأسرة فقد ورث كما تعلم أباه وأمه التى كانت غنية هى الأخرى .

ـ على بركة الله .

* * *

وصـــدق حدس مـــراد ووجد أغلب الكبـــار فى العائلـــة زاهدين فى العموديـــة . فقد كانوا تعـــودوا على نوع خاص من المعيشة يصعب عليهم أن يغيروه فى سنهم المتقـــدمة هذه ، ومن كان طـــامعاً فى العمودية أقنعـــه مراد بمنطقه هذا الذى قدمه بين يدى أبيه .

* * *

قصد مـــراد إلى بيت مدنى وكان قـــد تحرى أن يكون ترشيحـــه له عند أبيـــه سراً مكتوماً عنـــه ، كما حرص ألا يذكر اسمه لواحد من شيوخ الاسرة الذين كلمهم ، وإنما كـــان يطلق حديثـــه مع محدثه ، وكأنـــه لا يجد فى الأسرة صالحا للعمودية إلا هو ، وينتظر أثر هذا منه ويميل معه فى الحديث ، وينفره من العمـــودية فى لهجة الحريص على ماله وصحته وينبئه أنه اذا رفض العمودية

ــ سنتعب كثيرا حتى نجد العمـــدة المنـــاسب ، ولكن وماله نتعب نحن وترتاح أنت .

وهكـــذا لم يظهر اسم مـــدنى فى الافق على الإطـــلاق ، ومن يتصـــور أن يتولى العموديـــة شـــاب أكمل الســـن منذ

شهور ولا يتولاها الكبار المتصدرون لمجالس القرية واجتماعاتها .

قال مراد لمدنى :

ـ كم تدفع لتصبح عمدة ؟

وقفز مدنى عن كرسيه :

ـ ماذا تقول ؟

ـ ما سمعت .

ـ وهل يعقل هذا ؟

ـ كم تدفع ؟

ـ كم تريد ؟

ـ ألف جنيه .

ـ ألف جنيه !!

ـ ألف جنيه .

ـ ادفع .

ـ هات

ـ الآن .

ـ فى بيتك أكثر من هذا

ـ من سيأخذها ؟

ـ أنا .

ـ أنت ؟!حسبت أن الحاج دياب هو ....

ـ الحاج دياب لا يعرف عن الألف جنيه شيئا .

ـ يـا أخى خـف بعض الشـىء ... اننى سرك ونجيك وحبيبك .

ـ ولهذا لم أقل ثلاثة آلاف .

ـ لك حق .

ـ هات .

ـ الفلوس فى الداخل ... لحظات وتكون فى يدك .

* * *

وأصبح مدنى طلبة عمدة للميمونة .



٩

كانت هذه الوزارة هي الأخيرة لحزب الوفد ، وهى التى ألغى فيها النحاس باشا المعاهدة ، وكان ساسة مصر جميعا يعلمون أن الغاءها خراب مؤكد لمصر ، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعالنوا برأيهم هذا ، فإلغاء المعاهدة فى ظاهره عمل وطنى لابد أن تؤيده الأحزاب الأخرى بل لقد أيده أيضا الساسة الكبار البعيدون عن الأحزاب ، ولكنهم جميعا ، وبلا استثناء ، كانوا واثقين أنه سيؤدى بمصر إلى أوخم العواقب .

وكانت مقاومة المصريين للانجليز على أشدها ، حتى لقد فجر الإنجليز فجورا لا مثيل له فى تاريخهم بمصر إلا فى حادثة دنشواى ، وقد تمثل أبشع ما تمثل فى حصارهم لمركز شرطة الاسماعيلية الأمر الذى اضطر وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا ان يأمر بأن يقاوم المصريون الذين كانوا من الوطنية فى أعلى معانيها وأجلى صورها حين نفذوا الأمر وجادوا بأرواحهم فى سبيل مصر .

كان نـديم قد حصل على شهـادة الليسـانس ، ورغب عن الوظيفة الحكومية التى كانت يسيرة بالنسبة له غاية اليسر، فعمل محاميا فى مكتب واحد من كبار المحامين هو منير فراج ، وكان من زملائه فى المكتب عبدالوهاب فتحى وأمجد شرف الـدين ، وكـان كـلاهمايعمل فى حـركـة المقاومة بكل جد وجهد . وكانـا على صلة بالضباط الذين كانوا يطلقون على أنفسهم الضباط الأحرار ، وكان أقرب هـؤلاء الضبـاط إليهما سعيـد سلطـان وكـان بـرتبـة يوزباشـى

وقد انضـم نـديم بحماسة شديدة الى زميلـه وتعرف باليوزباشى سعيد الذى فرح به كابن واحد من الوزراء فى الحزب الحاكم .

وكان المحـامون الثـلاثة بحكم صلتهـم بالموكلين فى المكتب يستطيعون أن يتعرفـوا مواطن السلاح وأخبرهم نديم أنه أيضا يعرف كيف يخفى هذا السلاح .

وفى يوم من الأيـام التى كان تمر شأنها شـأن سائر الأيام وجـد مراد نفسه يستقبل نـديم فى بيته الخاص ... وتعانق الصديقان فى شرفـة البيت ، والدنيا لا تكاد تسع

مراد من الفرح ... وبادر نديم سائلا :

ـ أين سيارتك .

ـ أحببت أن أجيء بالقطار .

ـ لماذا ؟

ـ ستعرف .

ـ وهو كذلك .

ـ أولا أريد أن أرى دياب الصغير

ـ والكبير أيضا وحياتك .

ـ طبعا ولكن أريد أن نكون وحدنا قبل أن نذهب الى حضرة النائب .

ـ أمرك .

وحين خلا بهما المكان قال نديم وهو يحتسى القهوة :

ـ أنا أعمل فى المقاومه .

وقفز مراد عن كرسيه قائلا :

ـ يا نهار أسود من الحبر الكوبيا .

وقال له نديم فى هدوء ورباطة جأش

ـ اقعد ... اقعد ... اذا كان هذا رد فعلك لأننى قلت لك اننى أعمل بالمقاومة فماذا أنت صانع اذا أكملت ماجئت لك بشأنه ؟

وقال مراد وهو يجلس شبه تائه

ـ من أجل هذا جئت ؟

ـ هذا خبر لا يحتاج الى مجىء ... لقد جئت لأنك ستعمل معى .

وهب مراد واقفا

ـ أنا ؟ وماذا أفعل فى المقاومة ؟ أخاف من خيالى .

ـ اقعد يا أخى ... وهل ستذهب الى الثكنات الانجليزية ؟

والتقط مراد بعض أنفاسه وسأل وهو يلهث :

ـ اذن ماذا سأفعل

ـ اقعد .

ـ قعدت

ـ الأسبوع القادم سآتى اليك ومعى واحد من الضباط الأحرار .

ـ هل سمعت عنهم ؟

ـ لا .

ـ انهم جماعة تكونت فى حرب فلسطين ، ويريدون أن يغيروا الأمور فى مصر ، وهم الآن مشغولون بمعاونة المقاومة والعمل مع الفدائيين . منهم من يذهب الى الثكنات متخفيا ، ومنهم من يعد لهم السلاح ويرسله الى العاملين با لميدان .

ـ وصاحبك هذا من أى الفريقين ؟

ـ يعمل على الناحيتين .

ـ وأنا ماذا سيكون عملى ؟

ـ سنخفى عندك السلاح .

وصمت مراد ، واحترم نديم صمته ، اذا أخفيت السلاح أصبحت واحدا منهم ، وحين يأتى الوقت

يرشحنى الوفد وأصبح من الأبطال ولو حدث ـ ولو أن هذا بعيد ـ واستطاع هؤلاء الضباط أن يغيروا الاوضاع فسيكون لهم شأن أى شأن ولا شك ان صاحب نديم هذا سيصبح فى المقدمة .. ومسألة اخفاء السلاح ليست صعبة على . فأنا هنا أعرف مخابىء كثيرة ، بل إن بيتى نفسه لن يفكر فيه أحد .. ما المانع .. ما المانع ... كله فائدة ... لاخطر هناك ، وأنا سأظهر بمظهر الأبطال .

ـ نديم ؟

ـ نعم .

ـ أنا نفسى ملكك فما بال بيتى ؟ ... أنا تحت أمرك

وقام نديم ، فقام مراد ، وتعانق الصديقان .

ـ متى تجىء أنت وصاحبك ؟

ـ سنطب عليك .

ـ أهلا فى كل وقت ما اسم صاحبك ؟

ـ ستعرف حين يجىء .

ـ أسرار .

ـ ربما .

ـ أمرك .

●●●

لم تمض أيام حتى كان نديم وسعيد عند مراد . ولاحظ مراد أن سعيد ارتاح له .. كما اطمأن هو اليه .. وبعد أن تبادلا حديثا عاما فاجأ سعيد مراد :

ـ أين ستخبىء السلاح ؟

ولم يفاجأ مراد بالسؤال ، وان كان فوجىء من توقيت القائه ، فقد جاء على غير انتظار بعيدا كل البعد عما كانوا يأخذون فيه حديث ... ألجمته المفاجأة لحظة ثم قال :

ـ هنا فى بيتى .

ـ فقط

ـ وفى أماكن أخرى كثيرة

ـ معناها أن يعرف أصحاب هذه الأماكن ما نحاول أن تخفيه .

ـ اطمئن هذه مسئوليتى .

ـ لا هذه مسئوليتى أنا .

ـ ما رأيك فى بيت العمدة ودواره ؟

ـ وسيعلم .

ـ انه كشخصى وكل ما ارجوك فيه أن تطمئن تماما وتثق فى ثقة تامة .

ـ لو لم أكن وثقت فيك من النظرة الأولى لما فتحت الموضوع أمامك .

ـ أكثر الله من أمثالك يا سعيد بك .

ـ بك هذه بعيدة عن قاموسنا كل البعد .. سعيد سلطان وتقول لى سعيد كما أننى لن أقول لك الا يا مراد دون بك ولا يحزنون .

ـ ويا ولد يا مراد اذا احببت .

وضحك ثلاثتهم ، وقال سعيد لمراد :

ـ ستكون بيننا رحلة طويلة يا ولد يامراد

ـ احس بهذا .

ـ واضح انك رجل يعتامد عليك .

وقال نديم

ـ وهل كنت عرفتك به اذا لم يكن كذلك ؟

وقال سعيد :

ـ أهدافك مرسومة فى ذهنك ، وستصل اليها

وقال مراد :

ـ المهم ان اعرف الطريق اليه

وقال سعيد

ـ ربما تكون قد وضعت رجلك عليه

وقال مراد

ـ البركة فيك انت ونديم .

وقال سعيد :

ـ توكل على الله

وقال نديم :

ـ أنا اعرفه كما أعرف نفسى هو مستعد ان يتوكل على الله أو على الشيطان . فقط المهم ان يصل .

وصاح مـراد مذعوراً ، وكأنه يرى نـديم يقرأ خبىء نفسـه .

ـ اعـوذ بالله من الشيطـان الرجيم ... حـرام عليك يا شيخ .

قال نديم :

ـ ولا يهمك ... فلنتوكل على الله .

وقال مراد :

ـ هكذا يكون الكلام ... توكلنا على الله

وقال سعيد :

ـ توكلنا على الله .



١٠

تلاحقت الأحداث بصورة لم تشهد مصر لها مثيلاً ، وحدث حريق القاهرة الذى لم يستطع أحد أن يحدد الفاعل الأصلى فيه .

واستقالت وزارة النحاس باشا وتدهور الحجم فى مصر تدهوراً فظيعاً ، ورفض حزب الأحرار الدستوريين والهيئة السعدية تأليف الوزارة ، وكانت حجتهم قوية ، فقد كتب رجال الحزبين بالاشتراك مع كبار الساسة من المستقلين عريضة اشتهرت بعريضة الثلاثين لأن الموقعين عليها كانوا ثلاثين عملاقاً من عمالقة مصر . نددوا فى العريضة بتصرفات الملك الشخصية والعامة تنديداً لم يكن له سابقة فى تاريخ مصر ، وطالبوه أن يقوم من تصرفاته الشخصية ، ويبعد عن حاشيته ذا السمعة الساقطة ،وحذروه ، أنه اذا لم يفعل فإن المستقبل لمصر وللجميع مظلم ومخيف

وذعر الملك من العريضة ،ولكنه كان يسعى إلى حتفه بظلفه ، وظل على ماهو عليه من فساد وضلال وهوى لم

يغير من نفسه شيئا ، كما لم يغير من زبانيته أحدا ، فكان طبيعياً أن يحدث ما توقعه زعماء مصر ورجالاتها .

فحين أزفت الآزفة وحاول الملك أن يستصرخ الحزبين الكبيرين اللذين كانا خارج الحكم فقال الحزبان فى اجماع رائع ما كان لنا أن نستجيب فما كنالاهين حين كتبنا عريضة الثلاثين ، وما يتصور أحد أن نستجيب لصرخته حتى ينفذ كل ما جاء بالعريضة .

وهكذا تعاقبت الوزارات المحايدة وهى نوع من الوزارات التى لا يكتب لها البقاء عادة ، ولكنه فى هذه المرة تجاوز الرقم القياسى فى قلة الأيام التى كانت تبقى فيها الوزارة حاكمة حتى لقد رأى المصريون بهى الدين بركات باشا يكلف بتأليف الوزارة وبدأ يؤلفها فعلا حتى حل عليه عميق المساء فنام على أن يكمل التأليف فى غده .

نام وهو رئيس وزراء ، وصحا ليجد الصحف تعلن أن حسين سرى باشا ألف الوزارة ، وحلف الوزراء اليمين ، وسارت الحال على هذا المنوال حتى قامت الثورة .

***

ولم يكن عجيبا أن يستقبلها الشعب بما هو معروف فى التاريخ من ترحاب صاخب طاغ ، ومن فرح عريض جهير .

***

وما لبثت الثورة أن شنت هجومها الشرس على الأحزاب ورجالها ، وقتلت الدستور أول ما قتلت مع أن بيانها الأول أعلن أنها جاءت لتحمى الدستور من العبث به ولتثبيت أركانه ، فكان أول ما فعلت فى سبيل تثبيت هذه الاركان أن تلغى الدستور ، فكان شأنها شأن الطبيب الذى دخل البيت لينقذ رب الأسرة المريض فكان أول ما صنعه أن أطلق الرصاص على قلب المريض وقتله فى الحال متمثلاً بالقول الشائع أن الموت احدى الراحتين ، وقد اختارت الثورة الموت للدستور حتى يرتاح تماماً من الاعتداء عليه .

***

هيهات ! فما قدمت اليك لأكون مؤرخاً لما حدث فى هذه الفترة وما خربت من بيوت ، وما هتكت من أعراض، وما استباحت من كرامات ، وما سفحت من دماء ، وما استلبت من أموال .. فكل هذا أتركه للتاريخ ... وقد حكم

فعلاً وكان منطوق الحكم على منصات القضاء المصرى رفيع الشأن سامى المكان .

ولكن ما لنا وهذا ، ولو أن حديث الأفاعى طويل المدى ، ولكننى لا أسوق لك تلك الأحداث فى هذه الرواية، فمكانها مجالات اخرى غير هذه الراوية بين يديك التى أخشى عليها أن يلهينى عنها غير ما رصدته لها .

فلنعد إلى البدء ونقف أثر أبطالنا ونتتبع طريقهم الخاص ، وما حديثى عن الثورة إلا حتم من الحتم ففى ركام أحداثها مهدوا سبيلهم ولا بد لمن يروى ما ساروا فيه من سبيل أن يرسم ولو فى كلمات قلائل معالم هذه السبيل .

فإليهم إذن عودتنا نقص خطاهم . ونتتبع سيرهم ومسراهم . فإنما هم الذين اجتذبوا عقلى ومشاعرى أن أروى هذا الذى بين يديك ولك الحرية المطلقة أن تطلق عليها من الأسماء ما شئت. أما أنا فإنما أريد أن أكتب لك ما عهدت منى من روايات ... فهى إذن رواية .



١١

صادرت الثورة فيما صادرت أسرة محمد على بأموالها ، وعلى رأسها طبعا الملك وزوجته وأولاده ، وأعلنت أنها كونت لجنة لتحصر أموال الملك والأسرة العلوية وغيرها من الأموال المصادرة جميعا ، وكان سعيد واحدا فى هذه اللجنة . وبدأت اللجنة أعمالها ، وكان من بين أعضاء اللجنة واحد من رجال المال فى الحكومة . . .

فى الجلسة الأولى لاجتماع اللجنة قال العضو المختص ، وقد بدأوا باحصاء أموال فاروق وزوجه ، وقال المختص لسكرتير اللجنة :

— أكتب عندك يا سيدى عدد واحد قرط... ثانيا...

وإذا بالمندوب المالى الذى انتدب مراقبا على طريقة الاحصاء يتولاه الذعر ويصيح :

— انتظر كيف ننتقل إلى ثانيا ؟

— وماذا تريد ؟

— هذا القرط الذى بدأت بـه الاحصـاء ما وصفه ؟ إن هناك قـرطا لايسـاوى أكثر مـن خمسة قـروش ، وآخر يفوق ثمنه المليون جنيه ! لابد من ذكر وصف القرط وما فيه من أحجار كريمة وأحجامها والتقدير المالى له

فإذا عضو اللجنة يقول :

— لا . . . لا .. الأوامر عندنا كذا

ولم يكن السعار من الثـورة قد بدأ واضحا بعـد مما جعل المندوب المالى يصيح :

— وأنا مستقيل من اللجنة .

— أنت حر .

— سلام عليكم .

— وعليكم السلام .

* * *

وحينئـذ بدأت اللجنـة أعمالها فعـلا ، ووجد سعيـد نفسه فى موضـع تـردد معه بعض الشىء . . . إذا استقلت فـالله يعلم مصيرى ، وإذا اعترضـت فمصيرى المؤكـد

مصـادرة حياتى جميعـا ، ليس أمـامى إلا أن أفعل مثل مايفعلـون مادامت الأوامر هكـذا . فمفهوم طبعا مـايراد منا ، ومفهوم طبعا أننا سننال حظنا من الغنائم .

لاسبيل إلى التردد . أنـا واحـد منهـم وسأظل واحـدا منهم .

* * *

النائب دياب طلبة أعلن انتماءه للثـورة أعظم مايكون الانتماء ، وقـد استطـاع أن يتصرف فى أرضـه وأمـوالـه بحيث لم تنل منـه الثورة سهما من أرضـه ، أومليما من ماله . وقد كان شـأنـه فى غمار الناس أهون من أن يكون تحت الحراسـة ، وقـد رضى المسئـولـون عن الثـورة انضمامه اليهم ، واعتبروه جنديا من جنودها .

أمـا مراد فقـد رأى فى الثورة فى أول عهـدهـا كارثـة تسحق آماله جميعا . . .

ولكن الأيام مالبثت أن أتاحت لهذه الامال ان تنتعش من موات . فقد كان المسئولون عن الثورة فى المديرية من أصدقاءه المقربين اللصقاء ، فكـان طريقه إليهم واسعا وكانت الأبواب مفتحة أمامه على مصراعيها جميعا .

وكـان أول مـاصنع من النـاحيـة السلبيـة أن يقطع

صلاته جميعا بنديم .

ولم يكن هذا غريبا على نديم فما انتظر من صديقه الحميم غير هذا .

ولم يكن أثر الثورة على نديم فادحا كما كان بالنسبة لوزراء آخرين . فلم يكن أبوه ذا شأن خطير فى الحزب ، وإن يكن قد بلغ منصب الوزارة فما كان وزيرا ذا خطر يخشاه أعداؤه .

ولم يكن فكرى باشا ذا مال يستحق أن توضع عليه الحراسة . فما كان وفير الغنى

ومادام مقدور الرزق والخطر ففيم تلتفت إليه الثورة . فلتصرف انتقامها إلى الذين إن حاربتهم أصابت بهم أحزابهم وأشياعهم ومناصريهم

أما نديم فقد ظل يعمل فى مكتب المحاماة ، وقطع تماما جهاده السياسى .

وقد استطاع نديم فى فترة قصيرة أن يصبح المحامى الثانى للمحامى الكبير منير فراج ، ومضى فى طريق المحاماة صعدا . وقال له منير :

— يانديم أعرف أنك تنوى أن تفتح مكتبا خاصا .

— ليس الآن على أى حال يا سعادة البك .

— لاتفعل هذا الآن ولابعد الآن .

— أمرك ، ولكن لماذا ؟

— أنا أرى مستقبلك فى المحاماة عظيما ، وأنا ليس لى أولاد ، وسنى أصبحت لاتحتمل جهد المحاماة . فأنا سأبيع لك المكتب لأنك الوحيد بين زملائك الذى أطمئن على قضايا موكلى بين يديه ؟

— لكن يا سعادة البك .

فقاطعه منير بك :

— لاتكمل أنا أعرف تماما حالتك المالية وحالة الباشا أيضا . سيكون البيع أقرب إلى الهدية منه إلى البيع. لولا خشيتى أن أثير عليك حسد زملائك لأهديته إليك . والله يعلم مااخترتك إلا لأمانتك . ولحرصى على مصالح موكلى الذين بذلت عمرى كله فى اكتساب ثقتهمَ .

— أنا لاأدرى ماذا أقول . . . إلا أننى دائما سأظل إبنك فى المحاماة ، وفى الحياة جميعا .

وسواء بالنسبة للقضايا التى ستتركها فى المكتب ، أوالقضايا التى قد يأتى بها موكلون جدد الذين لن

يقصدوا إلا إلى الاسم الرفيع الذى يتمتع به المكتب بفضلك . فانك أنت دائما ستظل أستاذى ومرجعى فى كل هذه القضايا قديمها وحديثها .

— هذا ماتوقعته . . .. لاتقل كلمة مما دار حولنا إلالوالدك . فأنا لاأريد أحدا غيره يعلم ما انتويت .

— هذا طبعا ما كنت أنوى عمله .

— على بركة الله .

* * *

١٢

فوجىء مراد بتليفون منزله يستدعيه

— ألو من ؟

— أنا سعيد سلطان يا مراد .

— يامرحب يامرحب سعادة الباشا .

— الباشاوية ألغيت .

— لكى تأخذوها أنتم . وأين الباشاوات منكم ياسادة الدنيا كلها ؟!

— أنت لم تتغير .

- أمر منك أن أتغير إلى أى شكل تريد . أنا من يدك ذى إلى يدك ذى .

— أحب أن أراك .

— أجىء الآن .

— تعرف بيتى ؟

— لم أصل إلى هذا الشرف .

— فى الحلمية شارع نسيم باشا رقم ٤ الدور الرابع

— بعد ساعة .

— لا . أنا أنتظرك فى الساعة السابعة اليوم .

* * *

بيت متهالك عجيب الشأن لامساحة له عبارة عن واجهة بلا عمق إلا بمقدار حجرة واحدة . فالحجرات فيه متراصة متجاورة فى نظام عجيب لم يشهد له مراد مثيلا . وعرف لماذا يخبره سعيد عن رقم الشقة لأن الدور على ضآلته شقة واحدة ، وكانت المرة الأولى التى يشاهد فيها مراد عمارة بأكملها لاتزيد على واجهة فقط ، وهى تدل دلالة واضحة عن الحالة المالية لسكان هذا البناء العجيب الذى لايجرؤ أحد أن يسميه عمارة .

فتح الباب لمراد فتاة فى سن الشباب الباكر تلبس جلبابا من الكستور الرخيص لاتوحى لرائيها بشىء ، فلاهى جميلة ، ولاهى قبيحة ، ولاهى طويلة فارعة ، ولاهى قصيرة قزعة ، ولاهى نحيفة ضامرة ولاسمينة ممتلئة . إنها كالشىء الذى لامعنى له ، أومثلها مثل

الكلمة العابـرة التى إن سقطت من الكلام لايتغير معناه . وقادته إلى غـرفة خبيثة الأثاث والـرائحة معا واضح أنها لم تفتح منذ عهد بعيد .

— أهلا وسـهلا .

— مراد طلبه . البك ينتظرنى .

— تفضل . . . أتشرب قهوة أم تفضل الشاى

— لا داعى للتعب .

— هذا واجب لابد منه .

— إذن قهوة زيادة إذا سمحت .

— حاضر . . . سعيد أخى يلبس وسيأتى حالا .

* * *

قال سعيد :

— اسمع .. إن الحديث الذى سيجرى بيننا إذا عرفه احد ثالث .....

— لا سمح الله .

— لا . المسألة ليست مسألة كلام .... إذا عرفت أنك

نطقت بكلمة مما سأقوله لك سأقتلك ؟

— عيب يا سعيد بك . . . ألا تثق فى ؟

— ما عيب إلا العيب ... أنا لاأقصد أقتلك على سبيل التهديد والتخويف .... لا . سأقتلك فعلا بالرصاص وأنت تعلم أن هذا ليس صعبا بالنسبة إلى .

— ياخبر اسود ..... على كل حال إن كنت تشك فى فعلا فلاداعى أن تقول لى شيئا .

— لو كنت أشك ما طلبتك .

— إذن فما هذا الكلام الذى تقوله ؟

— لأخلص ذمتى من ذنبك . . . ليس عندى إلا القتل

— أمرى إلى الله .

— وأمام هذا التهديد هناك الوعد بالثراء بصورة لاتخطر لك على بال .

— كيف ؟

— لن أقول لك أكثر من أننى أعمل بلجنة الجرد .

— وما معنى هذا ؟

— معناه خطير جدا .

— أفهم

— سأحصل على مجوهرات وتحف لاتقد ر بمال .

— معقول ..... وأثاث طبعا .

— لا الأثاث والأشياء الكبرى لها جهات أخرى .

— مفهوم . والمطلوب ؟

— ألم تفهم ؟

— فقط أستفسر

— هـذه التحف والمجوهـرات إذا بعتها أنـا فى مصر فستبـاع بأبخس الأثمان . هذا بجـانب أننى لاأجـرؤ أن أعرف نفسى للمشترين .

— وماذا تريد منى ؟

— تبيعها بـالنيابـة عنى ، ولك النسبة المئـوية التي ترضيك فى كل صفقة .

— أين أبيعها ؟

— فى الخارج طبعا .

— والخروج بها وكل ما يتعلق بالمسائل الأمنية وشرطة المطار والتفتيش ؟

— كل هذا لا شأن لك به . . . ما رأيك ؟

— وهل فيها رأى ؟!

— اتفقنا .

— على بركة الله .

— على بركة الله .

●●●

١٣

ما أسرع مـا انضم مراد إلى هيئة التحريـر ، وما لبث سعيد أن جعل منه عضوا متميـزاً فى شتى مناحى الحياة السياسية ، فعرف الدهاليز والدروب .

وكان من الطبيعى أن يصبح موئل طلاب الجامعات ، ليس فى الميمونة وحدها كما كان شأنه أيام صلته بفكرى باشا ، وإنما اتسع مجال خدماته مدفوعة الأجر ، فشمل المنطقة كلها .

وكان الحاج دياب فخوراً كل الفخـر بما بلغه ابنه من مكانة رفيعة ، ولم يكن يعنيه فى قليل أو كثير أن يتقاضى إبنه أجراً مقابل خدماته أو لا يتقاضى .

ولم يكن مـراد كـاذبـاً كل الكـذب حين يقـول لمن يرشـونه أنـه يضطر أن يقـدم هذه الـرشى لمن يملكون قضاء هذه الحوائج .

وكانت نازلى أشد الناس فرحاً بالأهمية الباذخة التى يمرح فى سـاحتها مـراد تياهـا فخوراً . وكـانت فى نفس

الـوقت أشـد الناس خـوفـا . لقد كـان خليقـاً أن يكتفى بالصفقة التى عقدها مع سعيـد ليصبح من أثرى أثرياء المديرية جميعاً .

ولكن أى شىء يمنعه أن يتقاضى الـرشاوى ،ويزيد أموالـه ويجعلها قناطير مقنطرة . فهـو من غياب ضميره فى سعادة نفسيـة وماليـة لا يبلغها أى انسان مـن الذين يخافـون الله ، أو أولئـك الـذين وهب الله لهم إنــارة من ضمير .

وكان دياب الصغير فى أول عهد أبيـه بهذه الفتوحات المشهـودة يغمغم الكلمات ولكنـه مـع مـرور السنـوات أصبح ينطقها .

ولم يكن لدى مراد أى فـراغ لينظر إلى مستقبل ولده ، وترك هـذا الأمر بكليته لـزوجه نازلى ، واستأجـر شقة أنيقة بـالقاهرة ، فقـد كانت أعمالـه تقتضى منه أن يقيم بالقاهـرة ، أياماً كثيرة ، فإن الاتفاق وحـده الذى تم بينه وبين سعيد كان يحتم بقـاءه بالقاهرة فترات طـويلة قد تستغـرق أسبوعـا أو أسابيع فى بعض الأحيـان . فكيف إذا أضيفت إليـه الأعمال التى كان يتـوسط فيها لـذوى الحاجات . كما أن هيئـة التحرير فى القاهـرة غيرها فى أى محافظة من المحافظات . فهى فى القاهـرة تساعد افرادها

على أن يكونوا ذوى جاه عريض فى الوزارات والمصالح .

وهكذا أستأجر شقة أنيقة بحى المنيل ، واستجلب إليها من البلد فتوح سيد أحمد ليكون طاهيا وخادماً فى وقت معاً ، وليحرس الشقة أثناء غيابه عنها .

وهكذا كانت نازلى هى وحدها ، بعون ضئيل من حميها الحاج دياب ، مسئولة عن إبنها دياب ، وقد حرصت على أن تجعله ينتظم فى الدراسة المنزلية منذ سن باكرة فقد ضنت به أن ينتظم فى المدرسة فأقامت له مدرسة خاصة كاملة فى البيت ، وقد بدأت معه بأن أستجلبت له الشيخ عبد المعطى الدروى ليعلمه القرآن فحفظ بعض سوره . ثم انتقلت به إلى التعليم المدنى وراحت تستدعى المدرسين إلى البيت حتى لا يذهب دياب الصغير إلى المدرسة .

وحين دخل دياب إلى المدرسة الابتدائية كان متفوقاً على زملائه بما حصل من التعليم المنزلى .

ومضت السنون .

وكان من الطبيعى أن يكون لسعيد شأن أى شأن فى أن يكون مراد مرشح السلطة فى الدائرة .

وحين ذهب مراد إلى سعيد فى شأن الانتخابات لم يكن طبعا محتاجا أن يسأله عن عنوانه الجديد . فقد كان بحكم الاتفاق الذى تم بينهما كثير الذهاب إليه ، وإن كانت نوعا من الكثرة التى لاتلفت الأنظار ، الأمر الذى كان يراعيه الطرفان معا كل الرعاية

كان سعيد وأخته قد انتقلا إلى شقة فاخرة فى جاردن سيتى فى عمارة من العمارات التى استولت عليها الحكومة فى شارع النباتات. وكانت الشقة مكونة من سبع غرف وبهو طويل مترامى الأطراف . وطبعا لم يكن الذى يفتح الباب محبوبة أخت سعيد ، وإنما كان واحدا من الخدم الثلاثة الذين يعملون فى بيت سعيد . ولكن هذا لم يمنع أن يرى مراد محبوبة فى أغلب المرات التى يزور فيها شريكه سعيد . وطبعا لم تستطع الثروة أوالجاه أن يغيرا شيئا من وجهها وطبيعة خلقها ، وإن كان قوامها قد امتلأ بعض الشىء امتلاء لايصل لحد السمنة ولم تكن الملابس غالية الثمن التى تفقد الذوق بمطيقة وحدها أن تغير من شخصية محبوبة ، ولكن الذى لاشك فيه أن بلغت من السنين عددا يجعلها قريبة كل القرب من أن تكون عانسا .

كان مراد طبعا يحرف مواعيد سعيد ، فما كان

ليذهب إليه ويخطئه قط ، قال سعيد :

— شكرا لك كل الشكر على ترشيحى

— وهل كنت تنتظر غير هذا ؟

— ولكن هناك مشكلة .

- ماهى ؟

— سيتقدم فى الدائرة ستة مرشحين .

— من هم ؟

— لاتهم أسماؤهم إلا أن من بينهم عمر المفتى .

— لاتخف منه .

— كيف ؟ لقد كان نائب الدائرة لسنوات طويلة .

— ألم ينتصر عليه أبوك .

— كان وفديا ، وطبعا أنت تعرف أن الحكومة كانت تساعد الوفد فى هذه الانتخابات ومع ذلك نجح أبى بصعوبة بالغة . ولولا وقوف العمد معه لما نجح .

— سنشطب اسمه .

— عظيم ..... والباقون ؟

— صعب .

— وهل هناك شيء صعب بالنسبة إليك ؟

— لانريد أن نزيد من أعدائنا .

— يا سيدى الأمر لايستحق . . . أنت فقط كلم المسئول ، وسينفذ لك كل ماتريد ،

— غير معقول .

— إذن لافائدة .

— ادخل الانتخابات وأعدك بالمساعدة .

— لاأضمن النجاح .

— وأنا لاأستطيع أن أشطب خمسة .

— الأمر لله .

* * *

وانصرف مراد ، وهو يفكر ويطيل التفكير ، وحين عاد إلى الميمونة وجد نازلى تعلم دياب مبادىء اللغة الفرنسية ، فلم يعلق على ماتفعل ، ولا انتظر أن يتعلق به دياب شأنه فى كل يوم يراه فيه .

فلم يكن مـراد يـراه كل يـوم ، فقـد أصبح بقـاؤه فى القـاهـرة يعـادل إن لم يزد على بقـائه فى بيتـه بـالبلـدة وتعـودت نازلى على هـذا الوضـع راضيـة به ، وإن كـان رضـاؤهـا ليس عن اختيـار . فهى لم تكن تملك إلا تقبل إهمال مراد لها ولابنهما فى وقت معا

ولم تكن نـازلى غبيـة ولاجاهلـة فإن تكن السنـوات التى قضتهـا فى التعليم قليلـة إلا أنها أصبحت تتكلم الفرنسية بقدر من الطلاقة لابأس به ، وزاد من معرفتها باللغة الفرنسية قـراءتها لكتب العا لميين من كتاب فرنسا وما ترجـم إلى الفرنسية من الآداب الأخرى كـالانجليزية أو الروسيـة أو الألمانية كما كـانت حريصـة على القراءة العربية لكبـار الكتاب هذا جميعا إلى جـانب حرصها على تتبع الأخبار فى الصحف والراديو على السواء .

وهكذا أصبحت على قدر من الثقـافة يعتبر غريبا على زوجة تعيش فى القرية ، لاتكاد تغادرها إلا القليل النادر ، مرات إلى الزقازيق ، ومرات أقل إلى القاهرة

وقد تمكنت ثقـافتها أن تجعلهـا تعرف تمام المعـرفة ذلك السعار المحمـوم الذى أصـاب زوجها فى جمع المال وسعـة السلطة والجاه ، وأدركت أن شخصـا هذا شأنـه لايمكن أن يلتفت إلى بيته أوتعليم ولـده ، فحزمت أمـرها

أن تكون هى المسئولة وحدها عن تعليم دياب وتثقيفه أيضا . فان حزبها أمر لجأت إلى حميها ، وقد كان يستجيب لكل ماتريده ، مدركا بحنكة الشيخ المجرب أن نازلى تنازلت عن حقوق الزوجة وأصبحت وحدها المسئولة عن ابنها الذى أهمل أبوه شأنه

وماكان مراد ليستطيع أن يهتم بشئون بيته وماله وآماله العراض وكان عليه أن يختار بين أن يكون أبا وزوجا مع مال موفور ولكن ليس بالوفرة التى يريدها ، وجاه لابأس به ، ولكن ليس بالضخامة التى يصبو إليها، وبين أن يكون نوعا من الديناصور البشرى وقد اختار الأمر الأخير وليذهب ولده وزوجه إلى أى مصير يلقفهما.

وقد اختار فعلا المال والجاه ، وانقضى الأمر وأصبحت ملائكة السماء والأرض عاجزة كل العجز أن تجعله يغير وجهته أو سمته

كما أنه كان يعتبر أن نازلى قد استنفدت أغراضها بعد أن توثقت صلته بسعيد وإن كان مازال يطمع إلى عون أبيها فى الانتخابات

ولو أن الحاج دهشان مازال ذا مكانة فى البلدان

الأخرى وطبعا فى عموديته الكبيرة إلا أن مراد قدر أن الحكومة أقوى من كل الأعمدة التى تستند إليها مكانة الحاج دهشان فلم يكن عجيبا إذن أن يسعى سعيه الخبيث المستميت لدى سعيد أن تشطب الحكومة المرشحين أمامه .

وهو فى دوامة الحصول على عضوية البرلمان فى شبه غيبوبة تلهيه كل الالهاء عن ابنه وزوجه ، أوأى إنسان ، أو أى شىء فى الدنيا أو الآخرة على السواء .

فلم يكن غريبا أن تعتبر نازلى نفسها متزوجة من بعض رجل ، وأن أغلب هذا الرجل أصبح سعارا فى سبيل المال والسلطة .

ولم تحاول أن تناقشه أو حتى تسأله إلى أى غاية يريد أن ينتهى ، وأى مدى يشتهى أن يبلغ .

فهى تعلم بثقافتها أنه ليس لطالب سلطة أو مال غاية ينتهى عندها أو مدى يقف عنده .

* * *

أما الحاج دياب فتفرغ كل التفرغ لأرضه والأرض التى كتبها بأسماء ابنه وابنتيه . ومع أن مدنى طلبه كان يقوم بشئون العمودية فقد حرص أن يكون تحت جناح

عمه الحاج دياب وقد حرص أن يجلس إلى الناس فى دوار العمدة القديم ، وأن يظل تليفون العمـدة أمام هذا الدوار الذى لم يغادره منـذ السنوات الطوال . وهكذا كـان الأمر مستقـرا فى القـرية كـل الاستقرار ، واستطـاع مـراد أن يفرغ لسعار المال والجاه تفرغا كاملا



١٤

قال مراد لسعيد :

ـ جئتك اليوم فى أمر بعيد كل البعد عما يشغلنا

ـ خيراً .

ـ لا مقدمات . أريد أن تزوجنى محبوبة .

وصدم سعيد بالطلب ، وصمت وأن لم يطل صمته ، ثم عاد وقال :

ـ ماذا تقول ؟

ـ لماذا كل هذه الدهشة ؟

ـ ألا تعرف ؟

ـ أى عجيبة أن أتزوج أختك ؟

ـ الزواج فى ذاته ليس عجيبة ولكنك أنت . . .

فقاطعه مراد :

— متزوج .

— وعندك دياب .

— أتظنني أحتاج منك أن تعرفني أنني متزوج وعندى ولد ؟

— إذن .

— زوجتى مشغولة تماما بابنها . وهى مقيمة فى البلدة .

— ولماذا لا تأتى إلى مصر ؟

— ولماذا لاأتزوج من محبوبة ، وتقيم هى فى مصر ، وتظل نازلى بالبلد ؟

— هل نسيت أن دياب سيضطر أن يأتى للقاهرة ؟

— من أجل الجامعة تقصد ؟

— مثلا .

— مازالت أمامنا سنوات

— السنوات تمر سريعة .

— يقيم معى ومع محبوبة .

— وهل تقبل نازلى ؟

— دع هذا لوقته المهم ما رأيك أنت ؟

— والله المسألة تحتاج إلى تفكير ، ثم طبعا لابد.

وقاطعه مراد :

— من موافقتها . . ... هذا أمر لاشك فيه .

* * *

ومن سيتزوج مثلى إذا لم أقبل أن أكون زوجة ثانية ، لقد مرت السنوات وقاربت من العنوسة وأنا أعلم أننى لست جميلة . وزوارنا قليلون أونادرون . وسعيد قطع رجل أقاربنا جميعا لأنه فى مكانته الجديدة أصبح لايشرفه أن ينتسب إليه هؤلاء الأقارب . وطبعا سيرفض سعيد أى متقدم من أقاربنا . فجميعهم من صغار الفلاحين أوالصناع وطبعا سعيد لن يقبل أى شخص منهم إذا تجرأ وطلب يدى . ليس لى أمل فى الزواج إذا أنا لم أقبل مراد .

وما شأنى أنا بزوجته الثانية . هى فى البلد وأنا هنا ، ولن ترانى ولن أراها . وكل منا فى حالها .

وابنها . . .

مالى أنا بابنها .

ماذا أصنع إذا أقام معى

الذى يفعله ربنا ساعتها سيكون .

صحيح سعيد ترك لى الخيار ولكن هل أمامى خيار

وواضح أن سعيد مقبل على هـذا الزواج طبعـا . فهو يخشى أن أظل معـــه إذا عنست ، وأحـــول بينـــه وبين الزواج أو أكون مصـــدر مضايقة له ـ على الأقل ـــ عندما يتزوج .

وقد مضى عليه شهور يحدثنى عن منى ابنة رئيسه. وواضح أنه يريد أن يتزوجها .

وماله ؟ لقد كبر هو الآخر ، ولابد له أن يلحق بالقطار

وإذا لم يتزوج وهـو فى هذه السـن وهذه البحبـوحة التى صـار إليها فمتى ؟ إنـه لاخيـار أمامى . . . زوجـة ثانية . . . زوجة ثانية والله يفعل مايريد .

* * *

وتم الزواج ، وانتقلت محبوبــة إلى بيت مراد با لمنيل

ولم تجرؤ أن تطلب إليه أن يستأجر لها شقة أفخر . فهو قد رأى الشقة التى كانت تسكن فيها قبل أن تنتقل إلى شقة جاردن سيتى .

واستطاع مراد أن يكتم خبر زواجه عن أبيه وزوجته على الرغم من أنه زواج رسمى وليس عرفيا ، ولكن فتوح ذهب إلى البلد فى إجازة بعد أشهر من الزواج وهمس فى أذن الحاج دياب .

* * *

قال الحاج دياب لابنه

— لماذا يا مراد ؟

— يا آبا أنا وحدى فى مصر التى أصبحت أقضى بها معظم وقتى ، والوحدة وحشة .

— لا .. ليس هذا هو السبب .

— وما المانع أن أتزوج يا أبا ؟

— زوجتك نازلى لامثيل لها ، وربنا يبارك لك فى دياب .

– وهل أنا قصرت نحو زوجتى أو ابنى ؟

— أنت مقصر معها قبل أن تتزوج .

— البركة فيك يا أبا

— البيت لايستغنى عن رجله . والزوجة تحتاج إلى زوجها ، والابن يحتاج إلى أبيه .

— يا أبا هل معنى أن أتزوج واحدة تقيم معى فى مصر أننى سأترك نازلى أو دياب ؟

— المهم لافائدة من الكلام . . . الحقيقة يا دياب انا لاأخاف عليك من أحد إلا من نفسك

— لماذا يا أبا ؟

— تريد أن تحصل على الدنيا كلها دون أن تقدم أى ثمن .

— ومن الذى لايريد هذا يا أبا ؟

— لو كان الناس جميعهم مثلك لأكل بعضهم بعضا.

— توكل على الله يا أبا .

— وهل لنا غيره . . . أنا لن أخبر نازلى بزواجك

— مصيرها تعلم .

— لتعلم من غيرى .

* * *

فتــوح متزوج . وزوجتــه تعمل عند نــازلى فى البيت ، وأستطاعت عديلة أن تكتم الخبر عن ستهــا يوما ويومين وثلاثة ، ولكن هل تستطيــع المرأة أن تكتم سرا كهذا أكثر من بضـعة أيام ..... هيهات .

* * *

نزل الخبر على نــازلى نزول الصــاعقة . . . فهى مهما تكن مثقفة فهى امــرأة . . . ومشـاعرها كمشــاعر النساء جميعا .

لماذا . . . مــاذا فعلــت لــه ؟! . . . أهــذا جـــزائى لأننى لاأحاسبه على إهماله لى ولابنه وأنى لاأسأله متى تسافر ومتى تعــود . . . لا . . . إنه يسـعى بــزواجه هــذا إلى شىء آخر غير الزواج . . . المؤكد أن فى زواجه نفعا ماديا له .

عــديلــة تقــول أن الزوجــة ليست جميلــة . . . لعلهــا تحاول بهذا أن تعزينى . ولكنــه عزاء لاقيمة لــه . وأعتقد أن عديلــة على حق ، وأن زوجته الثــانية ليســت جميلة . فهو لايهمــه الجمال أو القبح . المهم أن يصل إلى أطماعه التى لاتنتهى .

والآن كيف أتصرف ؟

أذهب إلى أبى .....

ولم لا . . . لابد أن يعرف .

وماذا بعد أن يعرف ؟

وماذا أفيد أنا حين أجعل الأمر الذى سيسمعه الناس فيصدقه بعضهم ويكذبه آخرون حقيقة ثابتة لاشك فيها .

أى فائدة تعود على حين أعلن أننى فشلت فى أن أبقى على زوجى . مع أن الله يعلم أننى أنا لم أفشل أن أكون زوجة صالحة ، والذى فشل هو مراد فى أن يكون انسانا طبيعيا ، شأنه شأن كل الناس . وإنما هو إنسان تعميه مطامعه وإن داس بها على شريكة عمره، بل وإن أساء إلى ابنه الوحيد مهما يكن قدر الاساءة . ولكن كم من الناس سيقيم ميزان العدل بينى وبينه .

وماذا أنا قائلة لأبى . . . طبعا سأخبره ، ولكن ماذا يستطيع أن يفعل . . . لقد مارس مراد حقا شرعيا له . . . وأنا بين أمرين اثنين إما أن أقبل وأصمت ، أو أثير الدنيا وأفضح ما ينبغى أن أستره من أمر بيتى ، ولن أسىء

بهذا إلا لـولـدى ولنفسى ، وأنـا لم يبق لى فى الـدنيـا إلا ولدى.

قالت نازلى لمراد فى أول لقاء بعد علمها بزواجه

— مبروك

— خير .

— مبروك يا مراد وكتر خيرك .

— أعرفت ؟

— لاشىء يختبىء .

— لن تجد منى أى تغيير .

— لايمكن أن تتغير .

— كيف ؟ ألا تخشين أن يجعلنى الـوضع الجديـد أتغير ؟

— إلى ماذا . . . أنت وقبل أن تتـزوج لم تكن تهتم بى ولابـديـاب أى اهتمام فماذا يستطيع زواجك الجديـد أن يصنع منك أسوأ من هذا ؟

— هل ينقصك شىء ؟

— أنـا إنسانـة ، ولست مثلك . أنت كيان لاشأن لـه بالانسـانية . أنت عبـارة عن سعار للمال وللجـاه ، وقد

طمرت أطماعك الانسان فيك حتى لتحسب أن الانسان مادام يأكل ويشرب فهو لاينقصه شىء فسؤالك إن كان ينقصنى شىء غير غريب منك .

وأصر مراد قائلا :

— هل ينقصك شىء ؟

— ينقصنى الزوج لى ، والاب لابنى . . . فقط مسألة بسيطة .

— لقد أفسدتك القراءة .

— القراءة لاتفسد ، وإنما الجهل هو الذى يفسد .

— أنا جاهل ؟!

— لست مثقفا على أية حال .

— الأمر لايصل إلى قلة الأدب .

— فعلا لك حق . فالحقائق دائما قلة أدب

— انتهينا

— بل بدأنا .

— ماذا تريدين أن تفعلى ؟

— ماذا تظن أننى سأفعل ؟

— أنا لاأعلم أنت حرة . افعلى ماتشائين .

— لا وحياة دياب لن أجعل حبيبا يرثى لـه أو لى ، أوأجعل عدوا يشمت به أو بى .

— أنت دائما عاقلة

— أكثر من اللازم .

— هذا ماتوقعته .

— بل هذا ما شجعك على الزواج على .

— أتعتقدين ذلك ؟

— أقول شجعك . أما السبب الحقيقى والأهم فهو أمر آخر أعرفه كل المعرفة .

— ما هو ؟

— المنفعة . . . الانتخابات . . . المال . . . الجاه . . . أخذ الرشاوى من الناس.

— ماذا . . . ماذا . . . ماهذا كله ؟!

— أسباب زواجك إن لم يكن كل ماذكرت فبعضه على الأقل .

— لا . . . ناصحة .

— لا . . . لست نـاصـحة ، ولكن إن لم أعـرف زوجى فمن أعرف ؟

— أهكذا تظنين بى ؟

— ليس ظنا بل ثقة تامة

— أنت متأكدة .

— وأنت ألست متأكدا ؟

— إن لم أسـع إلى تحسـين وضعـى فى هـــذا السن متى؟

— كل المسعورين يجدون الأعذار لسعارهم .

— رجعنا إلى قلة الأدب .

— العفو يـاسعادة البك ! أم تـريد أن أقول البـاشا ، ما البأس الباشويات اليوم أصبحت على قفا من يشيل .

— وسخرية أيضا !!

— قلنا العفو .

— انتهينا .

— انتهينا .

---

١ — *سمات من الزمان*

١٥

سافر مراد عدة مرات إلى دول أوروبية مختلفة ، وكان يستعين بلغته الانجليزية المتهرئة فى بيع ماكان يحمله من تحف ومصوغات ، وقد كان العائد ضخما جزيلا .

ولكن مراد أحس أن هذه المجوهرات التى كان يبيعها فى شتى البلاد الأوروبية ليست هى كل مايحصل عليه سعيد .

وقد جرى العمل على أن يودع نصف حق سعيد فى بنوك متفرقة فى دول العالم ، ويرجع إليه بالنصف الآخر

وطبعا كان الخروج من مصر والدخول إليها بالنسبة لمراد أمرا ميسرا كل التيسير ، مع استحالته لسائر الناس الذين لايتمتعون بما يتمتع به هو من صلات عليا مع سعيد .

* * *

حين تزوج مراد من محبوبة أصبح بالنسبة لسعيد موضع ثقة كاملة يستطيع أن يبيح له ما لم يكن يبيحه حين كانت الصلة أقل شأنا مماصارت إليه .

— اسمع يا زوج اختى .

— قل ما شئت .

— كل الذى بعته من مجوهرات لايساوى شيئا بالنسبة لما أخفيه عندى ولم أبعه بعد .

— كنت واثقا من ذلك .

— لماذا ؟

— ليس فيما أبيعه شىء خارق للمألوف . مجوهرات نفيسة نعم . ولكن بالنسبة للأسرات الكبيرة وأسرة محمد على . . . شىء أقل من المستوى إلى حد ما .

— كنت تعلم أن الأسر الأخرى أيضا أصبحت تحت إشراف .

— وهل تعجب أن أعرف شيئا كهذا ؟

— لنتكلم فى المهم

— أنا تحت أمرك .

— ستخرج فى كل مرة بقطعتين أو ثلاث على الأكثر .

— ليكن .

— لاحظ أننى لاأحصل على هــذه الاشيـاء وحـدى . وإنما يشـترك فى قبض أثمانها أشـخاص كثيرون

— أعلم هذا .

— وهذا أيضا تعلمه

— شىء بـدهى . فما كانـوا ليبقوا عليك طـوال هذه الفترة إن كانوا لاينالون منك أكثر مما يتوقعون .

— لايخشى عليك .

— أنا أخشى عليك أنت .

وجزع سعيد وامتقع لونه .

— لماذا ..... ؟ لماذا ؟

— هؤلاء قوم لاصديق لهم .

— هذا صحيح ، ولكـن العمل الذى أقوم بـه يصعب أن يجدوا من يحل فيه غيرى .

— ولهذا لاتتسرع فى بيع المجوهـرات ، ولا فى توزيع

النفائس من المفروشات والسجاجيد واللوحات العالميه ، بل اجعل توزيعك بمقدار

وصمت سعيد لحظات طوالا ثم قال :

— لعلك على حق .

— المهم نتكلم فى السفر .

— بعد ثلاثة أيام ستسافر .

— إلى أين فى هذه المرة ؟

— إلى باريس ومعك ثلاث قطع .

— طبعا لن أعرضها على صائغ واحد .

— طبعا . . . تعرض كل قطعة منفردة ، بل ينبغى ألايعلم من يشترى منك قطعة أن معك غيرها

— مفهوم .

* * *

استطاع مراد أن يبيع قطعتين لصائغين مختلفين ، وأبقى القطعة الكبرى ، وهى وشاح ضخم من الماس الخالص والذهب الأصفر والأبيض جميعا ، وقد ذهب به مراد إلى أشهر متجر ماس فى العالم . . . وقدمه إلى

الموظف ، فإذا بالموظف يرفع سماعة التليفون ، ويطلب صاحب المتجر . وفى لحظات يأتى وينظر إلى الوشاح ، ويقلبه بين يديه بعناية شديدة ، ثم يقول لمراد بالانجليزية :

ــ هل يمكن أن تتركه لنا وتأتى غدا لنتفاوض فى الثمن ؟

ــ كيف ؟

ــ سأعطيك إيصالا به حتى تبيت ليلتك مطمئنا ، ولو أن متجرنا لايحتاج لمثل هذا الاجراء .

ــ أمرك .

وكتب له صاحب المتجر الايصال ، وانقلب مراد إلى فندقه متصورا أن الوشاح من العظمة بحيث يحتاج الأمر إلى لجنة لتقرير قيمته الحقيقية .

وفى الصباح قال له صاحب المتجر :

ــ هذا الوشاح نحن الذين صنعناه خصيصا لشاه إيران ليهديه إلى عروسه فى ذلك الحين الأميرة فوزية وهو وشاح شهير فى عالم الماس .

وقدم إلى مراد كتابا به القطع النادرة التى صنعها

المتجر وفتح فى الكتاب صفحة معينة وأشار إلى صورة بها وهو يقول :

— أليس هذا هو الوشاح الذى تعرضه علينا ؟

وكان مراد يتوقع أى شىء إلا هذا الذى هو فيه ، وتولاه الجزع والعجب ، وارتعدت منه الفرائص ، بل أن نأمات وجهه أصابتها الرعشة الواضحة ولم يجد شيئا يقول إلا ..

— أنت تعلم أن الحكومة المصرية استولت على أموال أسرة محمد على .

وقال التاجر :

— والأسرات الأخرى أيضا .

وقال مراد وهو فى رجفته لايزال

— فأى عجيبة أن تبيع الحكومة ما استولت عليه

وقال صاحب المتجر فى صراحة وحسم :

— إذا كانت حكومتكم قد سرقت أموال أسراتها فليس معنى هذا أن نعاونها .

ثم إنك لم تقدم لنا صفتك الرسمية التى تدل على أنك

تمثل الحكومة المصرية

وقال مراد :

— وماذا تريد أن تفعل ؟

— لقد فعلت .

ولم يسعف الجفاف الذى أصاب لسان مراد إلا بأن يلملم حروفا متناثرة .

— ماذا ؟

قالها بصعوبة شديدة حتى لقد دهش كيف استطاع أن يجمعها لتصبح كلمة مسموعة .

وقال صاحب المتجر :

— لقد اتصلنا بشاه إيران فأمر بأن نأخذ الوشاح ولانقدمك إلى الشرطة .

وهب مراد واقفا :

— الشرطة ؟!

— هذا ما كان ينبغى أن نفعله . أنت تبيع قطعة نادرة من الماس . ولست صاحبها . بل اننى واثق أنك لاتملك مايثبت تمثيلك للحكومة المصرية

وأطرق مراد يجمع شتات نفسه ويجرض ريقه لعله يعينه على الحديث . واستطاع أخيرا أن يقول :

— ما أنا إلا رسول . فهل يمكن أن تكتب لى ورقة أعطيها لمن كلفنى ببيع هذه القطعة ؟

ونظر إليه صاحب المتجر طويلا ثم قال :

— نظرا لحالتك التى أراها لامانع من هذا .

وبالعربية الفصحى تنفس مراد الصعداء وهو يقول:

— الحمد لله



١٦

أدرك مراد أن أيام سعيد لن تطول .

مراد اليوم عضو مجلس أمة بعد أن استطاع سعيد أن يجعل الحكومة ترفض ترشيح أربعة مما كانوا مرشحين ضد مراد ، ولم تبق إلا على مرشحين اثنين هزيلين فكان طبيعيا أن يفوز مراد بالدائرة .

وقد فكر طويلا بعد أن عاد إلى مصر من رحلته الماسية .

الماس والمجوهرات ستنتهى . وكذلك الرياش والنفائس مصيرها إلى نفاد . فما مصير سعيد بعد ذلك ؟ أيبعدونه أم يبقون عليه ؟ وان أبقوا عليه وهو أمر مستبعد أيبقى هو على أنا ، لأكن زوج اخته بل لأكن أخاه الشقيق ما لهؤلاء أمان .

لقد تزوجت محبوبة لأضمن عضويتى فى مجلس الأمة . أما بعد ذلك فالذى لاشك فيه أن مفعولها ضئيل جدا .

صحيح سعيد تزوج وأصبح لايتصور أن تعود أخته للعيش معه . ولكن هذا لن يمنعه أن يمزق العلاقة التى بينى وبينه مطمئنا فى نفسه أن أخته تستطيع أن تعيش وحدها إذا عن لى أن أطلقها ، ولاتثريب عليه فى هذا التفكير . . .

وإن كان على مصاريف معيشتها فقد أصبح يستطيع أن يعطيها ما يكفيها ويفيض عن حاجتها دون أن تتأثر أمواله الطائلة بهذا .

لامناص لى أن أوطد صلتى بأصحاب السلطان بالطرق المشروعة وغير المشروعة ... والطرق غير المشروعة أقوى وأيسر .

ماذا ترانى أستطيع أن أفعل مادمت ماأزال على صلة طيبة بسعيد . فما لى لاأجعله مفتاح الباب إلى الساحات الرفيعة لأصحاب الجاه والسلطان ؟

ولكن لابد أولا من شقة فاخرة أستطيع فيها أن أدعو هؤلاء الآلهة الجدد .

لابد من ذلك أولا .....

لابد .

وما أسرع ما أتـاح له سعيد شقة بجـواره فى جاردن سيتى تحقق ما يصبو إليه .

وما أسرع مـاراح يدعـو أهل القمة إلى بيتـه الجديد ، وما أسرع مالبوا .

وتوالت الحفـلات ، وكان العدد فيها فى كل مـرة يزيد واحدا أو اثنين ، وكان الواحد أو الاثنان يمثلان عند مراد نجاحا يفوق كل الحدود .

وراحـــت الأواصر تترابط بين مـــراد وبين وجـــوه الـزمـان ، وراحت الهدايـا منـه تترى إليهم ، وتـوثقت علاقاتـه بعرى الهدايا ، واستطاع بذكاء شـديد أن يدرك الهدية المناسبة لكل وجه من الوجوه

وكانت حفلات الشقة الجديـدة حفلات صاخبة فيها مـايرضى الأذواق جميعـا ، شرابـا كان أو كـان دخانـا أوطعاما مما لم يكن متوافرا إلا فى السراديب الرفيعة التى لايبلغها إلا الكبار والضخام واللائذون بهم والمنتسبون إليهم

ومهما تكن أنـاقة الحفلات وروعتهـا وتوافـر جميع عنـاصر البهجة فيهـا فلم تكن تخلـو أيضا من سيـدات صنعهن مـراد خصيصا لهذه الحفـلات ، وكن بطبيعـة

الحال يدرين مصيرهن المحتوم إذا تجرأت واحدة منهن وأذاعت من أمر هذه المهرجانات ماينبغى أن يظل مستورا فى طى الكتمان .

ولم يكن مراد حريصا أن يكون المدعوون كثرة . بل هم قلة يعرف كل منهم ـ قبل أن يأتى ـ أسماء المدعوين القادمين معه .

ولم يكن مراد يعنى أى عناية باسم التنظيم الذى ينضوى تحت لوائه .

فهو مع هيئة التحرير ، وهو فى الاتحاد القومى ، وهو مستعد أن يكون فى أى تجمع مادام على صلة بالأعمدة الكبرى من هذا التنظيم .



١٧

لم تمنع الحفـلات مراد أن ينجب من محبـوبه طفـلا وأسماه أيمن . فقد جاء الطفل ويمن الطالع يفرش ظلاله على حياة مراد أكثر مما كان يتوقع .

ولم تمنعه مشاغله فى القـاهرة أن يلم بنازلى ودياب ، فكـان يشهد تقـدم ديـاب فى الدراسـة وتفـوقـه تفوقـا ملحوظـا . بل إنه أيضـا عرف مبـادىء اللغة الفـرنسية وراحت أمه تغدق عليه من كتب هذه اللغة ماينابسب سنه .

وكانت نـازلى تعلم كل العلم أن مجىء ديـاب إلى بيته فى البلدة ليس رعـاية لحقوقهـا أوحقوق ابنها فقـد كانت تعلم أنـــه أصبح شريكـــا للفـــلاحين فى بهائمهم ، ولكل التجـار فى تجارتهم ، وكـانـت تعلم أن جميع شركـائه فى غاية السعـادة بهذه المشاركة . فقد ضمنـوا أن لهم ظهرا قويا يستندون إليه .

ولم تعجب نـازلى حين زار أبوهـا زوجها فى البلـدة ، وعرض عليـه أن يشاركه فى ماكينـة الطحين التى يملكها

والتى آن لها أن تعفى من الخدمة ، وتحل محلها أخرى حديثة .

وهكذا اطمأنت نازلى إلى ما فعلته حين علمت أن مراد تزوج عليها وحين رفضت أن تترك بيتها إلى بيت أبيها فما كان أبوها ليناصرها إذا لجأت إليه .

* * *

وتمر السنوات ومراد يصبح النائب الدائم فى الدائرة ، ويصبح من الوجوه الواضحة فى الاتحاد الاشتراكى العربى .

وكما سبق أن قلت لك لم يكن يعنى مراد شيئا الاسم الذى يعلن للتجمع الذى ينتمى إليه .

إلا أن الجديد الذى لاحظه مراد أن سعيد لم يعد ذوحظوة عند المسئولين ، وأصبح بعض منهم يخشى أن يذهب إلى حفلاته لصلته بسعيد .

وحين تكرر هذا من شخصيات لها خطرها لم يتردد مراد لحظة وطلق محبوبة وأعادها هى وابنها إلى شقة المنيل وإن لم يقطع عنهما مايكفيهما لملاقاة الحياة .

وكان عمله هذا حاسما بالنسبة لسعيد . فقد أدرك

تماما الموقف الذى يريد مراد أن يتخذه منه ، فلم يحاول الاتصال به من قريب أوبعيد .

وعادت الحفلات إلى بهجتها . فما كان لمحبوبة أية صلة بهذه الحفلات بل كانت تحرص فى أثنائها ألا تغادر حجرتها ، ولاشأن لها أى شأن بما يجرى فى حجرات الاستقبال والمائدة . وحاول مراد أن يبقى على دماء من ماء وجهه بقوله لها :

— إننا فلاحون ، وحريمنا لايسهرن مع الرجال .

مع أن هؤلاء الحريم أنفسهن كن يتصدرن الدعوات الأخرى التى لاتتداول فيها الأيدى الكاسات أومصادر الدخان .



١٨

لم تكن وفاة الحاج دياب مفاجأة لمراد فقد بلغ من السن ما جعل أيامه الأخيرة متصلة المرض .

وكان مراد فى السنوات الأخيرة هو الذى يشرف على الزراعة ، وماكان إشرافه عليها يكلفه أى جهد . فقد حرص الحاج دياب بعد الثورة ألايقوم بزراعة أرضه أوأرض مراد أوبنتيه اللتين كونت كل منهما أسرة . الأمر الذى جعل أرضه وأرض ولده وبنتيه فى مأمن تام من كل قوانين الاصلاح الزراعى

ولكن مراد بعد وفاة أبيه رأى أن يزرع الأرض جميعها بالموالح. وكان قد استطاع فى أثناء أسفاره إلى الخارج أن يتعرف ببعض المستوردين ، وكان يدرى أيضا أنه لايفهم شيئا فى شئون الزراعة . كما أن مدنى العمدة لايجيد زراعة الموالح ، وإن كان يجيد زراعة المحاصيل المألوفة من قطن إلى ذرة إلى قمح إلى شعير إلى برسيم أما خارج هذه الحدود فلايعرف شيئا .

وقد اتفق مراد مع اختيه بعد وفاة أبيهما أن يزرع أرضهما هما أيضا بالموالح ورحبت أختاه بما يريد .

وبهذا أصبحت المساحة التى سيزرعها جديرة بأن يشرف عليها مهندس زراعى من خريجى الزراعة العليا المتخصصين فى الموالح ، وكان يقدم له مرتبا ضخما لايحلم به الخريج من أمثاله. فقد كان يدفع له مائة جنيه فى الشهر مع نسبة ٥٪ من الأرباح وكان المهندس واسمه فؤاد برعى ماهرا كل المهارة فى خبرته .

فما هى إلا سنوات حتى أصبح محصول الموالح فى أرض مراد وأختيه مضرب الأمثال فى الوفرة وامتياز الثمار فى وقت معا مما شجعه على أن يسافر ويستفيد بصلاته السابقة فى الأسفار ، ويوقع العقود بالتصدير ويزيد ماله ويزيد

* * *

وقد اختار الله أيضا الحاج دهشان إلى جواره بعد أن كان قد باع أرض نازلى جميعها لمشترين آخرين قبل موته بفترة طويلة .

وقد كان البيع لأنها وزوجها سيصبحان مخالفين لقوانين الإصلاح الزراعى . فلم يكن عجيبا أن يتغلب

الحاج دهشان على تلك الصعوبة بأن يبيع الأرض للفلاحين ويقيم عمارة فاخرة بالقاهرة باسم ابنته وطبعا كان مراد هو الذى يدير هذه العمارة .

وكان طبيعيا بعد قوانين الإسكان الايؤجر فيها شقة واحدة بإيجار عادى . وإنما أجر شققها جميعا إيجارا مفروشا حتى يستطيع أن يخرج السكان وقتما يشاء . وفى نفس الوقت أبقى شقتين متجاورتين بدون تأجير لتتصرف فيهما نازلى كما تشاء ، أولتقيم فيهما حين يذهب دياب إلى الجامعة .

وهكذا مات الحاج دهشان مطمئنا على ابنته

أما آلة الطحين فقد ارتأى مراد بعد وفاة حميه أن يبيعها .

— مارأيك يانازلى فى ماكينة الطحين ؟

— ماتراه يامراد .

— أنا أرى أنها تحتاج لوجود شخص مأمون إلى جوارها حتى تظل تنتج كما كانت تنتج أيام المرحوم الحاج .

— فعلا .

— والشخص المأمون لايوجد فى هذا الزمان .

— فماذا ترى ؟

— سأعرضها للبيع .

— وماله ؟

— أنا عندى منك فعلا توكيل ، ولكن أردت أن أعرف أيك

— الحقيقة أنك مع حبك للمال لاتبخل على ولاعلى دياب . ثم ان حقى من العمارة يصلنى على دائر المليم فالذى تراه افعله .

وفعلا باع مراد ماكينة الطحين وقال لنازلى :

— مارأيك نشترى بثمنها أرضا للبناء فى القاهرة .

— ما المناسبة ؟

—تكون لدياب حين يكبر

— نحن عندنا شقتان فى عمارة الدقى .

— أعلم ولكن دياب سيتزوج فى يوم من الأيام

— نخلى له شقة فى عمارتنا .

— ولماذا ؟

— مع أزمة السكن الأرض ثمنها سيزيد .

— أكتب الأرض باسم دياب مباشره

— وهو كذلك .

وهكذا كانت الأحوال المالية لمراد فى انتعاش مستمر والانتعاش يغرى بالمزيد منه . والأرقام ليس لها نهاية فليمض به الطريق ونحن من ورائه نقص أثره ونتنطس أنباءه .



١٩

فى ثورة مـايو كان مراد غـاية فى الحصافة والـذكاء ، وكان يدرى على وجه اليقين لمن سيكون النصر .

فما أسرع مـا تنكر لكـل المارقين على السلطة العليـا للبلاد ، وراح بأنف متمرس يبحث عن الأعمدة الجديدة للحكم الجديد .

ولم يهمه فى شىء أنـه كان يدعـو إلى الاشتراكية بكل قـوته أيـام سيطرة الاشتراكيـة وكان فى آرائه البرلمانيـة متحمساً للمذهب الاشتراكى تحمسـا يقصر عنه ماركس ولينين وستالين جميعاً .

ولم يهمـــه فى شىء الأعـــراض التـى انتهكت ، ولا مذبحة ٦٦ ، ٦٧ لمن أسمتهم بالأقطاع فهو مع كل ما له كان محصنـاً بآرائه الاشتراكيـة ، وهتافـاته المتـواصلة للعهد ، وأربـابه وصـلاته الوثيقـة بمن كانـوا يبقون فى الصدراة وتنكره كلّ التنكـر لمن يقصيهم الحكم ، ويتخذ منهم موقفـاً عدائياً ، وكأنهم لم يكونوا فى يـوم من الأيام

هذه الأقمار الساطعة فى دعواته وصلاته ومهرجاناته ومشاربه المائية أو ذات الدخان

وحين وقعت حرب ٦٧ أوشك أن يشارك النائب الراقص فى رقصه لولا بقية هزيلة من حياء

فقد أدرك أن الهزيمة وإن كانت قد زلزلت العهد زلزالا شديداً إلا أنها لن تقضى عليه ، فكان من أوائل من حشدوا الهاتفين ، وأستأجر عشر لوريات مليئة بالرجال والعصى انتظاراً لمهزلة التنازل ، وكان يدرى كل شىء عن مناورة التنازل والتجميع والهتافات ، فلم يترك الفرصة للمشاركة فى التمثيلية الفجة التى مثلها العهد بعد الهزيمة النكراء ، ولم يعنه فى شىء من قتلوا من أبناء مصر مع الأموال الضخام التى سفحت مع الدماء على رمال سيناء .

وفى مجلس الأمة كان أشد المصفقين للنائب الراقص على أشلاء مصر. حتى إذا اراد الله للعهد أن ينتهى كان هو مع العهد الجديد أشد ما يكون تحمساً ، وأعلى ما يكون صوتا فى الهتاف والتأييد للعهد الجديد .

وقد أدرك العهد أن مراد ممن يمكن الإعتماد عليهم ، فمادام رجل قد احترف الهتاف فهو لن ينصرف عنه فى

سبيل أى شىء ، وإنما سيستمر على الهتاف لأن خنجرته لا تستطيع أن تصنع شيئاً إلا هذا الهتاف .

ولابد من هاتفين لكل عهد .

فما اسرع ما اقيمت الولائم فى بيت مراد لسدنة العهد الجديد ، وما احسن ما سارت معه الأمور .

وطبعاً كان ضمن المرشحين فى منبر مصر

وكان أول من قيد إسمه فى حزب مصر .

كما كان الأول أيضاً فى قيد إسمه بالحزب الوطنى

وظل هودائما نائب الدائرة .



٢٠

انتقلت نازلى إلى عمارتها بالقاهرة ليصبح دياب طالبا فى كلية الحقوق ويبدأ دياب حياة جديدة كل الجدة مع أنه كثيرا ماكان يأتى إلى القاهرة فى الاجازات ويقيم فى شقتى والدته اللتين احتفظ بهما أبوه .

وكان طبيعيا أن ينضم مراد إلى أسرته ويؤجر شقته الفاخرة مفروشة ومع ذلك كان لاشأن له بدياب إلا فى إلمامات عابرة .

وكان دياب متقدما فى دراسته دائما ، ولما كان يتقن اللغة الفرنسية فقد اختار كلية الحقوق . ووافقت أمه ، أما أبوه فلم يشترك فى الرأى إلا بالموافقة وفى الكلية تعرف به طالب اسمه فكرى نديم راشد .

وفى أحد الأيام بينما دياب وزوجته وابنه على مائدة الغداء أحب مراد على غير المألوف من عادته أن يظهر اهتماما بشئون دياب ولو على سبيل قطع الصمت على مائدة الطعام .

— ما أخبار الكلية يا عم دياب ؟

— الحمد لله عظيمة . والدراسات فيها تستهوّينى

— هل تعرفت بأصدقاء هناك ؟

— كثيرين . . . أذكرتنى يا أبى .

— بماذا . . . خيرا .

— كنت أسمع جدى يتحدث عن الوزير السابق فكرى باشا راشد .

— نعم لقد كنت أنا سبب تعرفه على جدك .

— كيف يا أبى ؟

وكان دياب تواقا أن يتحدث إلى أبيه أو يتحدث أبوه إليه. فما إن وجد أباه فتح حديثاً حتى سارع يستحثه أن يتكلم . قال أبوه :

— ألم يقل لك أبى ..

— ربما قال . . . ولكنى أحب أن أسمع منك

— كان ابنه نديم زميلى فى المدرسة ، وكان الباشا يحبنى مثل ابنه ، لأنه كان يستبشر بى . فقد كنت على مائدته يوم استدعى ليكون وزيرا . وبعد ذلك دعانا أنا

وأبى إلى بيتـه ، ودعـاه أبى إلى بيتنـا فى البلد ، وأقـام لـه حفلة مازالـت بلدنا والبلاد المجاورة تتحـدث عنها حتى اليوم .

— أيكون فكرى هذا ابن نديم صديقك ؟

— لابد أن يكون كذلك .

— ماذا يعمل نديم ؟

— فى المحاماة وقـد أصبح اليوم من أكبر المحامين فى مصر .

— إنه هو لاشك

— ان للزمن تصاريف عجيبة .

— إنـه شـاب مهـذب جـدا ، وقـد تعلم فى المدارس الفرنسية .

— لقد حضرت فـرح أبيه ، وكان بعـد ميلادك بفترة قصيرة جدا . . . أنا لاأنسى ذلك اليـوم . . . إنما أعتقد أنه أصغر منك بسنتين على الأقل .

وهنا تدخلت نازلى :

— طبعا فإن دياب لم ينتظـم فى المدارس إلا بعد أبناء

سنه بسنتين تقريبا وربما أكثر . . . فأنت تعلم أنني كنت حريصة أن يتعلم فى البيت وربما تكون هذه الدراسة هى التى جعلته دائما متفوقا على زملائه .

وقال دياب :

— لك حق هذا صحيح . . . قل لى ياذياب هل تقدر أن تأتى لى من زميلك بتليفون أبيه .

— أقدر جدا .

—والله زمان .

* * *

أدار دياب قرص التليفون وأجابه صوت وقور :

— ألو

— لو عرفتنى تكون فعلا أكبر محامى فى مصر .

— تحدث قليلا .

— وفيم تريد الحديث ؟

— فى أى شىء يعجبك .

— تريد أن تستجوبنى كما تستجوب الشهود فى

المحكمة . . .. ولكنى لن أمكنك من هذا .

— أهذا معقـول ؟!.. بعد كل هـذه السنين . مراد أيها الرجل الناقص

— أنعم وأكرم . أنت نديم بـذكائك الشديد لم ينقص بل زاد .

— أين أنت . . . لاتقل أنت مشغـــول فى أشيـاء كثيرة فأخبارك تصل إلى أولا فأولا .

— الكـلام فى التليفـون لاينفـع ، تتغـدى أو تتعشـى معى عندك أوعندى لايهم .

— إذن . . . نتعشى عندى يوم الاثنين القادم .

— وهو كذلك .

— أنت ونازلى هانم ودياب .

— طبعا . . . فإن دياب هو السبب فى تجديد الصلات فـهو كما تعرف ..

— نعم عرفت من فكرى أنهما زميلان فى الكلية .

— يوم الاثنين إذن .

— يـوم الاثنين إن شـــاء الله فى الـــامنـة والنصف ،

وأيضا لترى دينا أخت فكرى

— بسم الله ماشاء الله ودينا أيضا .

— نعم وهى طالبة فى الجامعة الأمريكية .

— اللهم وفقها يارب .

— أنا منتظركم

— إن شاء الله .

وهكذا عادت الصداقة القديمة إلى مجراها . ولم يعد هناك حرج على دياب أن يصادق أبناء الوزراء السابقين الذين حاربتهم الثورة بكل سلاح .

فالعهد الجديد لم يكن جبارا فاتكا كسابقه .

وتعرف دياب على السيدة إلهام وجدى زوجة نديم وأم ولده وابنة عمه ، ولم يكن رآها إلا فى يوم الفرح . كما تعرف بابنته دينا فتاة جميلة واضحة الذكاء مع خفة روح لاتخفى . .

وكانت السنون قد أعملت يدها فى الصديقين والزوجتين ، ولكن السمات الأساسية لم تتغير . فمهما تصنع التجاعيد فإنها لاتستطيع أن تمحو مايعرفه

الصديق عن صديقه مـن الملامح والطريقة التى يتحدث بهما كل منهما .

وإن كـانت الموضـوعـات قد تغيرت اليـوم عن الأمس البعيـد ، وتعـــرفت نـــازلى على إلهام . وتقـــاربت بينهما الأفكار ، وعـرفت كل منهما أن ثقافـة الأخرى فـرنسية . فـالموضـوعـات بينهما مـوصـولـة لافـارق ثمة بين ابنـة العمدة السابق ، وابنة المستشار السـابق أيضـا .

فكل المنـاصـب بـالنسبة لـلآبـاء من الـزوجين ومن الزوجتين منـاصب سابقة . وقد جـاوز أربعتهم سنوات الشباب والكهـولة واقتربـوا جميعا من الشيخـوخة ولم يبق من شبـابهم إلا الآمـال المعلقـة بأولادهم الجالسين معهم يشـــــاركــــــون فى الحديث بمنطق مخـتلـف كل الاختلاف عن الوالدين والأمين جميعا .

وأحس دياب إعجـابا شديدا بدينـا التى لم يكن رآها إلافى ليلتهم هذه ، وقـد استطاع فى لباقة أن يبـدى إعجابه فى كلمة عابرة وفى الاهتمام الشديد بما تقول .

●●●

٢١

حرص مراد في مهرجان الانفتاح ألا يغامر بأمواله مطلقا ، كما حرص ألا يفتح أبوابا جديدة من التجارة ، ولكنه حرص على توطيد علاقاته وصداقاته برجال البنوك الكبار والاقتصاديين ، منتسبين إلى الحكومة كانوا أم كانوا من العاملين في الميادين الاقتصادية أوالتجارية العامة والخاصة على السواء وقد اتخذ لنفسه موقفا صلبا وهو ألايشارك أصحاب الملايين أورجال الأعمال في مشروعات اقتصادية مطلقا .

وكثيرا ماألح عليه أصحاب مشروعات ضخمة أن يشترك معهم فكان يأبى هذا لأنه يرى أن كل مشروع يحتمل المكسب والخسارة ، وهو لايريد أن يخسر مطلقا .

وكان المال موفوراً لديه وقابلا للزيادة . فقد كان رجال الأعمال هؤلاء يلجأون إليه في كثير من الأحيان لتسهيل أمور لهم لدى الحكومة ولدى البنوك . وكان لايتأخر عن قاصد مطلقا مادام يقدم له الهدية التي نسميها نحن الرشوة .

وقد كان محصول هـذه الرشى ضخما إلى حد بعيد . فقد كـانت الرشـوة تبدأ حيث تبـدأ ، وقد تنتهى بنصف مليون أوربعه .

فما بعجيب منه إذن أن يرفض الدخول فى مشروعات قابلة لكسب أولخسارة . فهو مهما يكسب منها لن يصل كسبه إلى دخله من باب الرشوة

قصده عبد الحميـد عنارة رجل الأعمال الكبير والذى يعمل فى الاستيراد والتصدير . والاستيراد طبعـا أكثر من التصـدير وكـان عنارة يستـورد فيما يستورد الحديـد بجميع أحجامه وأنواعه . وقال عبدالحميد لدياب :

— أمامى صفقة عمر .

— خيرا .

— حديد .

— بكم ؟

— بمائة مليون جنيه .

— ياواقعة سوداء !!

— يارجل حرام عليك قل بيضاء إن شاء الله .

— بيضاء بيضاء إن شاء الله . والمطلوب منى ؟

— تدخل معى .

— أين .

— فى العملية .

— حرام عليك . الرقم وحده أصابنى بالرعب فكيف أتصور أن أشارك فى عملية بهذا الحجم ؟

— إنها مضمونة كما أنك ترانى الآن .

— مبروكة عليك .

— دخولك أساسى .

— لماذا . . . هل تعتقد أن أموالى كلها ذات قيمة فى مثل هذه المبالغ ؟

— ليس مالك هو المطلوب . . . هل تعتقد أن عندى مايواجه مبلغا كهذا . . .؟ لوكان عندى لاعتزلت العمل .

— إذن ماذا تريد منى ؟

— ألا تعرف ؟

— لابد أن تقول .

— مساعدتك .

— مساعدتى أنا . . . فيم ؟

— لا يامراد بك أنت لاتحتاج إلى شرح .

— ربما كنت غير محتـــاج إلى شرح ، ولكن لابــد تكون المسائل واضحة تماما حتى لايحصل لبس .

— تساعدنى فى الحصول على المبلغ من البنك

— على مائة مليون ؟

— لا على ثمانين فقط .

— والله الأمر يتوقف . . .

— على ماذا ؟

— على ماتعرضه أنت على .

— كم يكفيك ؟

— فى عملية كهذه . . . لاأقل من مليونين .

— لا . . . لا . . . لايمكن . . . هذا كثير .

— أمرك . . . أنا لن أقبل أقل من هذا مليما واحدا .

— ألا يكفيك مليون ؟

—لايكفينى أقل من المليونين بعشرة جنيهات .

— أنت متشدد جدا .

— وعلى شرط .

— وشرط أيضا ؟

- ألا أتكلم فى الموضوع قبل أن أحصل على حقى .

— أنت سميته حقك ؟!

— أنت تعرف الجهد الذى أبذله فى حياتى لتصبح وساطتى مقبولة . فهو حقى لاشك

— فلنقل نصفه قبل موافقة البنك و

— لاتكمل . . . لن أخطو إلى البنك خطوة قبل أن آخذ حقى كاملا .

— اتفقنا .

— على بركة الله .

وفعلا ذهب مراد مع عنارة إلى البنك ، وقدمه إلى رئيس البنك ، وأوصى بكل حماس . وكان من الذكاء بحيث استأذن أن ينصرف لموعد مهم ، مقدراً أن رئيس البنك ربما يريد أن ينال حقه هو أيضا .



٢٢

نـال ديـاب شـهادة الليسـانس ولم تمض إلا أشـهـر قلائل حتى عين بالنيابة العامة .

وبـدأ يفكـر فى الزواج يشـجعـه أبـوه وأمـه على ذلك وبخاصة أنه كان مستقرا على العروس التى سيخطبها .

فقـد استطاع بعـد تعـرفـه بدينـا أن يصل إليهـا فى الجامعة الأمـريكية ، ونشأ بينهما مـاينشأ بين كل شاب وفتاة يجد كل منهما فى الآخر مايرضـى مشـاعره ومنطقه وعقله جميعا .

وفى حفل صاخب انتهـز فيه مراد الفرصـة ودعا كل ذى مكانـة أوشأن أومال أوصلة تمت الخطبة والـوالدان والأمان سعداء غاية السـعادة .

* * *

اما ايمن فقـد توكأ فى دراسـتـه حتى وصل إلى كليـة التجـارة لاهثا ، وكـان أبوه يحرص على أن يتصل بـه أو

بأمه مرة أومرتين فى الأسبوع ليتأكد أنهما فى غير حاجة إلى مال .

فلم يكن مراد مسعورا فى المال إلا أنه حريص كل الحرص أن يكون ابنه الذى ينتسب إليه فى مظهر لائق بين زملائه ومن يعرفونه .

وربما كان هذا الحرص فى ذاته مكملا لمعالم السعار المالى الذى يتمتع به .

فإن مظاهر الأبناء ماهى إلا لافتة لآبائهم ، ومراد فى حاجة جائحة أن تكون عناصر الأبهة جميعها متوافرة له فبها يستطيع أن يسعى سعيه فى الوساطات ، ويستطيع أن يحافظ على صلاته بذوى الشأن والسلطان

ولهذا لم يكن غريبا أن يشترى لأيمن سيارة يوم دخل الجامعة كما فعل لدياب من قبل .

فهو يعلم بخبرته أن السيارة فى الجامعة أصبحت منتشرة وأنه من العار ألايكون ابن مراد طلبة دون سيارة مهما يكن مطلقا لأمه . فزملاؤه لاشأن لهم بما بين الأب والأم ، وإنما لهم الشأن كل الشأن إن كان زميلهم ذا وفرة فى المال والوجاهة

والعار والشرف عند مراد لايتمثلان إلا فى المال

والسيارات ومظاهر الرفاهية وعضوية المجلس الذى أصبح اسمه مجلس الشعب ، ثم ليس فى أى شىء آخر .

وهكذا كان أيمن بما لايملكه من تفوق فى الدراسة يعوض نكوصه فى العلم بتفوقه فى إظهار الغنى واتخاذ كل الوسائل التى تجعل منه بين إخوانه شخصا يشار إليه .

وأى شىء يعنيه على هذا أكثر من أن يعرف طلاب الكلية جميعا والأساتذة أن أباه عضو بمجلس الشعب ، وأنه ثرى ذو سيارة ووفرة فى المال وقدر كبير من وجاهة المظهر والملبس ، وليذهب الجوهر إلى أى جحيم يطيب له .

ولم يكن غريباً أن يصبح كثير الأصدقاء من الزملاء ، والكثرة تجمع فى طواياها الخبيث والطيب . والخبيث أكثر إقناعا من حميد الخلق السوى الطريق . وهكذا كان من المتوقع ماحدث حين طلبت محبوبة زوجها السابق مراد بالتليفون وهى تصيح مولولة :

— الحقنى يامراد .

— ماذا بك ؟

— الولد .

— ما له ؟

— مغمى عليه !!

— هل طلبت الدكتور ؟

— أى دكتور . . . الحقنى أنت وهات معاك دكتور .

* * *

تبين أن أيمن تناول قدراً من المخدرات لم يحتملها ففقد الوعى ، وأسعفه الطبيب الذى أحضره أبوه وأبلغ أباه بحقيقة الغيبوبة .

* * *

وكان طبيعيا أن ينقل أيمن إلى المستشفى ، وكان طبيعيا أن يحضر خاله سعيد . بادره مراد :

— أهذا جزائى لأننى لم أتأخر عن أى طلب له أولأمه ؟

ورد سعيد فى جفاء :

— هذا جزاؤك أنك أهملته . والأبوة ليست المال وحده :

— أخوه لاينال من اهتمامى أكثر منه .

— الخطأ لايبرر الخطأ .

— ولكن أخاه من أحسن الناس خلقا ، وهو أيضا متفوق

— لاتنتظر أن يكون الأخ كأخيه لكل منهما ظروفه النفسية .

— اسمع أنا سأنقل أيمن إلى بيتى ليكون تحت إشراف .

— ألا يغضب هذا زوجتك ؟

— زوجتى سيدة مثالية وستعامله كما تعامل دياب

— ومحبوبة ؟

— إنك أخوها .

— نعم . . . أهلا بها . . .

— أعرف أنك تزوجت وخلفت ولدين . ولكنك لن تعجز عن إيجاد غرفة لأختك .

— طبعا لن أعجز

— ولن أنسى أنا العشرة وسوف يكون لديها

مايكفيها .

— أنا لن أكون نذلا لـدرجة أننى أرفض قبول أختى فى بيتى . وليس من المعقول أن أتركها وحدها .

وهو كذلك .

طبعا مراد قد أعد فى نفســه أن يؤجر الشقة التى ترك فيها محبوبة وابنها مفروشة ، ولاشك أن ماسيعطيه لها أقل مما سيتقــاضاه من الايجار وفى نفس الـوقت يشعر ابنه أيمن أنه لم يهمل أمه .

* * *

شفى أيمن من الادمــان وانتقل إلى بيت أبيـه . ودأبت نازلى أن تعامله أحسن معاملة . كما أن دياب كان يشعر بنوع من الأنس بوجـود أخيه معه . وبخاصــة أن النيابة كـانت تأخذ كل وقتــه ، ولم يكن يلم بــالبيت إلا فى فترات ضئيلة . وكان قد روعه أن يصــاب أخوه بالادمان . فمثل هذا الأمر إذا عرف يؤثر لاشك على مكانته فى النيابة . فقد كان يـدرك أنها وظيفة حســاسة غـاية الحســاسية وأى لغط حـول واحـد من أسرته كفيـل بأن يؤثـر على نظـرة المسئولين والزملاء إليه .

ولذلك كــان حريصا كل الحرص على متابعـة أخيه فى

دراسته وصلاته وخلطائه وأصدقائه .

وتحت هـذه الرقـابة الثـلاثية من الأب وزوجـة الأب والأخ لم يجد أيمن سردابا يعـود به إلى الادمان ، ولم يجد شيئا يفعله إلا المذاكرة وأمره إلى الله



٢٣

حصل عبدالحميد عنارة على الاعتماد الذى توسط فيه مراد لدى البنك .

ولكنه بدلا من أن يستورد به الحديد رأى أن الكسب مهما يبلغ لن يصل إلى المبلغ الذى حصل عليه فعلا.فراح يهرب أجزاء منه على فترات إلى الخارج ، معدا نفسه أن يلحق بالمال ، ويقيم بالخارج بعد أن يودعه جميعا بعيدا عن السلطات المصرية وإن كانت نيته هذه لم تمنعه أن يسافر بعد كل مبلغ يهربه حتى يطمئن على سلامة وصوله واستقراره فى البنك الأجنبى .

ولم يكن عنارة يتصور أن عليه عيونا رواصد . فإذا أمره ينكشف فجأة قبل أن يهرب من المبلغ إلا ثلاثة ملايين من الجنيهات لم يرد فى مقابلها حديد كما كانت الاتفاقية مع البنك تنص .

وقبض على عبدالحميد عنارة .

وتداولت الصحف الصفقة السارقة لأموال البنك

والدولة معا ، وبدأ التحقيق واتسع ، ولاكت الصحف اسم مراد دياب طلبة عضو مجلس الشعب .

وكدأب الصحافة ما إن تجد فرصة كهذه يكون من بين عناصرها شخص مثل مراد حتى توسعها بالتفاصيل. منها الصادق ومنها ماتتناقله الأشاعات ومنها مايختلقه المختلقون .

وأصبح مراد فى حالة من الكرب لم تمر به فى حياته جميعا ، واختلط عقله . وفجع يوم عرف أن وزارة العدل طلبت رفع الحصانة عنه .

ولم يجد له ملاذا إلا نديم يلجأ إليه ويستفتيه من الناحيتين الشخصية والقانونية معا .

وسأله نديم :

— هل لك صلة بهذه العملية ؟

— أكذب لو قلت لا

— تذكر أننى محام ، والمحامى إذا لم يعرف الحقيقة كاملة يستحيل عليه أن يدلى برأى

— طبعا

— ما صلتك ؟

— أنا الذى قدمت عبدالحميد عنارة إلى أمجد حسانين رئيس مجلس إدارة البنك .

— هل ضمنت ؟

— ليس لى توقيع واحد فى العملية ، وكل صلتى بها أننى زكيت عنارة عند أمجد حسانين الذى طالما دعوته إلى بيتى .

— ماذا تعرف عن أمجد حسانين ؟

— لاأعرف دخائله

— ولكن اسمه ليس فوق مستوى الشبهات .

— معك حق .

— فلماذا تتصل به ؟

— إذا لم أصادق إلا من ترتفع أسماؤهم عن الشبهات لخاصمت الكثيرين من الذين ترتبط مصالحى بمعرفتهم .

— ماذا تقصد بكلمة مصالحى ؟

— سبحان الله ألا تعلم ؟

— طبعا أعلم ، ولكن أريدك أنت أن تقول .

— أنا أعمل فى التصدير ، ثم إننى عضو بمجلس الشعب ، وأبناء الدائرة لهم طلبات لاتنتهى .فلابد أن أكون وثيق الصلة بكل من يملك التوقيع .

— كيف تعلل السبب الذى دعا إلى ذكر اسمك فى قضية عنارة ؟

— طبعا لابد أن أمجد ذكر اسمى

— أنت واثق أنك لم توقع على ورقة ؟

— ثقتى من أننى أقعد أمامك . لقد طلب منى عنارة أن أشاركه ولكنى رفضت .

— هل تقاضيت منه شيئا

— ولكنى لم أوقع على ورقة فهذه أمور لايمكن إثباتها .

— لك حق .

— بماذا تنصحنى أن أفعل ؟

— متى يجتمع مجلس الشعب .

— يوم السبت القادم .

— هل سينظر فى رفع الحصانة ؟

— لاأظن فقد أحال رئيس المجلس الطلب إلى اللجنة التشريعية ، وهى عادة تستغرق وقتا حتى تقدم تقريرها إلى المجلس

— أتريد نصيحتى ؟

— فلماذا أنا هنا ؟

— طلب الحصانة ، هل هو مقدم بالاتهام أم لسماع الأقوال ؟

— لسماع الأقوال .

— عظيم . . . سعادتك تتقدم بطلب إلى المجلس برفع الحصانة .

— أنا ؟

— طبعا ليس أنا . . . أنت طبعا . وبهذا تظهر أنك لاتخشى أن تسأل وأنك مطمئن إلى براءة ساحتك .

* * *

رفعت الحصانة وتمت المحاكمة وأدين فيها رئيس البنك للخطأ الجسيم وعدم التثبت من الضمانات المقدمة

على ضعفها كما أدين طبعا عبد الحميد عنارة

وبرأت المحاكمة ساحة مراد دياب طلبة

* * *

هيهـات فإن مثل هـذه الأمـور لاتجدي فيهـا بـراءة المحكمة. فقد زاد اللغط حول مراد . حكى كل من قدم له رشوة كيف قدمها وكم دفع له .

ومـا احتفظ بـه الـراشـون من أسرار أصبح على كل لسان ، وخيم السواد والمهانة على بيت دياب

وارتفعت الرقابة عن أيمن . وعـاد إلى طريقه القديم... إذا كان أبى لصـا فما أهون أن أكون أنا مدمنا

أما الـذى أصيب إصـابة قـاتلة فهـو المسكين دياب عضو النيابة.



٢٤

جلس دياب أمام سيم فى مكتبه

— أرجو أن تأمر كاتبك ألا يدخل إليك أحدا .

— وهو كذلك .

أصدر أوامره وقال دياب :

— إن الذى بينى وبين دينا إعجاب شديد ، وربما كان إجلالى لك يمنعنى من أقول الكلمة الحقيقية .

— أنا لست محتاجا أن أسمعها .

— ألا زلت ترانى كفئا لها ؟

— وما الذى جد ؟

— الذى تعرفه .

— الذى أعرفه ليس جديدا على .

— أكنت .

وقاطعه نديم

— أنا أعرف أباك منذ نحن تلاميذ صغار ، وصداقتى به ، بل وحبى له لم يكونا فى يوم من الأيام حائلا بينى وبين معرفة أخلاقه معرفة تامة .

— وقبلتنى ؟

— لسببين .

— أولهما ؟

— أننى أعلم أن والدتك هى التى قامت بشأنك منذ الطفولة .

— هذا حق . . . ولكن أتعرف والدتى ؟

— أخلاقها وما صنعته مع أبيك حين تزوج عليها من أجل مصالحه وثقافتها وعقلها .. كل هذا معروف وأنا محام وأخبار الناس تأتى إلى من كل سبيل .

— وما السبب الثانى ؟

— أنا أستطيع من لقاء أو لقائين أن أعرف دخيلة الناس. وقد ارتحت إليك ووثقت أنك على النقيض من أبيك تماما ، وقد صدق حدسى بما سمعته عنك فى الفترة

القصيرة التى قضيتها فى النيابة .

— أشكرك . . . وأحمد الله على أن يكون هذا رأيك ، ولكن يبقى الأهم من ذلك رأى دينا .

— أنت خطيبها اسألها أنت .

— قد تجد حرجا أن تقول لى رأيها صريحا .

— دع هذا لى .

— هذا ما أرجوه .

— وهو كذلك

— وهناك خبر آخر أرجو أن تعرفه

— خيرا .

— لقد استقلت من النيابة

— ليس هذا غريبا عليك . وماذا تنوى أن تفعل ؟

— هذا ما سأقوله لسعادتك حين تخبرنى برأى دينا .

— ليكن .

— متى آتى ؟

— لن أطيل فترة انتظارك . . . ليكن هذا اليوم فى الساعة السابعة .

— أستأذن .

— مع السلامة .

وقصد نديم أن يقف إجلالا لخطيب ابنته ويصافحه بحرارة وهو يودعه .

* * *

قال نديم لابنته دينا مادار بينه وبين خطيبها بما فى ذلك استقالته من النيابة وكانت أمها بمشهد .

— فما رأيك ؟

— ما رأيك أنت ؟

— رأيى أحتفظ به لنفسى حتى لايكون له أى تأثير عليك .

وقالت إلهام والدة دينا :

— أنا لاأريد أن أدلى برأى . ولكن اسمحا لى أن أعجب بموقف دياب وإقدامه هو على هذا السؤال . وأنا أعرف مقدار حبه لدينا وحرصه على الزواج منها .

وقال نديم :

— اتركى دينا تقل رأيها .

وقالت دينا :

— الحقيقة يا أبى أنا لاأرى لـه ذنبا فيما يفعله أبوه. وإذا كـان ذا ضمير وأبى أن يفـرض نفسـه علينـا بعـد ماشاع عن أبيه فـلايجوز أن أكون أنا حقيرة وأتخلى عنه فى شدته . أنا الآن متمسكة به أكثر ماكنت .

* * *

ونقل نديم رأى دينا إلى دياب وقال له :

— والآن حـان لك أن تخبرنى مـاذا تنوى من جهـة عملك ؟

— إن كل مافكرت فيه مرده إليك وإليك وحدك

— أوضح .

— أريد أن أعمل فى مكتبك .

— لقد كنت أخشى أن تكون متجها إلى وجهة أخرى

— إذن تقبلنى ؟

— إذا كنت قبلتك زوجا لابنتى الوحيدة فأنا أرحب بك زميلا فى مكتبى طبعا .

وعمل دياب بمكتب نديم ، وتم الزواج فى فرح قصد مراد أن يكون باذخ الفخامة ليعلن به نسبه إلى نديم المحامى العملاق وابن فكرى باشا راشد .

* * *

بقى فى هذه الرواية سطر واحد

لقد رشح مراد نفسه فى الانتخابات التالية ، وفاز بنجاح ساحق !!

ولاتعليق،

تمت

مجلس الشورى فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٩٤ الساعة الثانية والنصف مساء ٢٩ربيع ثان عام١٤١٥هـ



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية
٤٣٤٤ / ٩٥
I. S. B. N
977 - 08 - 0525 - 4



يمر الزمان وتتغير العهود وتختلف الوجوه ولكن هناك صنف من الناس له القدرة أن يتغير مع كل عهد وأن يتآلف مع كل وجه لا مقصد ولا هدف له الا المال ينتهبه بكل وسيلة أو يلصه بأساليب شتى والمنصب يتواثب عليه بالطرق المشروعه وغير المشروعه يطأ فى طريقه من يطأ لا يرعى فى ذلك صلة قربى أو رحم أو صداقة وليكن من يطأه من يكون حتى وان كان أقرب المقربين اليه فى سبيل غايته.

فى الطريق إليك ...

قصر على النيل	لؤلؤ وأصداف
لقاء هناك	جذور فى الهواء
وبقى شىء	لمن تشرق الشمس

الناشر : الشركة القومية للتوزيع - مؤسسة صحفية قومية

٤٠ ش رمسيس بالقاهرة - ت ٥٧٤١٦٥٧

السعر ٥ جنيهات

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم